الإيمان والعبادة

الثقافة الإسلامية

١

المستوى الأول

إعداد

نخبة متخصصة من أعضاء هيئة التدريس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
http://sbc.kau.edu.sa

الإيمان والعبادة

الثقافة الإسلامية

١

المستوى الأول

إعداد

نخبة متخصصة من أعضاء هيئة التدريس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
http://sbc.kau.edu.sa

المقدّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإنّ مقرر الإيمان والعبادة يهدف في المُجمل العام إلى تأصيل الطالب والطالبة، وبنائهما وفق دين الإسلام، وعلى ضوء رسالته السمحة، ومن منهجه القائم على الوسطية والاعتدال، وبطريقه البيّن الواضح في أمور الدين والدنيا.

وإنّ التأصيل والبناء المستند على براهين الإسلام المقنعة، وحججه الدامغة المخاطبة للعقل، والمراعية للفطرة، والمتلمّسة لحاجات الإنسان ولواقعه، ليُكسب صاحبهُ اتّزانًا وثقة بمقوّمات دينه، ومقدّرات أمّته، ويجعله قادرًا -بإذن الله- على مواجهة التحديات المحيطة به عن علم وبصيرة، حتى يكون فردًا صالحًا نافعًا لمجتمعه، مستشعرًا بذلك الغاية التي خُلق لأجلها، والقائمة على تحقيق العبودية والتوحيد الخالص لله تعالى المتضمّنة للعمل الصالح الذي ينفع صاحبه ويرفعه في الدنيا والآخرة.

وإنّ العلوم التي تضمّنها الوحي المنزّل على النبي ﷺ في القرآن والسنة لمن أشرف العلوم التي ينبغي أن يعرفها كل طالب وطالبة.

والعلوم المتعلّقة بأصول الإيمان وأركانه الكبرى من أشد ما ينبغي أن يتأسّسوا عليها في بناء ثقافتهم ووعيهم تعلُّمًا وتصوُّرًا وتصديقًا وامتثالًا؛ لأنها من أشرف ما يقوم عليه بنيان الإيمان بالله تعالى الذي به تتكوّن قاعدة الإيمان الصلبة وتُبنى أصوله وأحكامه.

ومصدر المعرفة الصحيح لدين الله الحق هو الوحي المعصوم؛ ولأن الإنسان كائن متسائل بطبعه يبحث دائمًا عن جواب لسؤال، فقد أشبع الوحيُ فضوله المعرفي، وأجاب عن أسئلته الكبرى التي فتح الخوض فيها -بغير موجّه ودليل- بابا كبيرا للضلال والانحراف، دخل فيه من دخل، وزلّ فيه من زلّ.

ومن لم يبنِ معارفه الدينية اعتمادًا على مصدر التلقّي ومنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة على مسائل الاعتقاد؛ كان عُرضة للتأثر بشبهات قديمة أو معاصرة اتّخذت من التأويل الفاسد والتحريف للنصوص الشرعية منهجا لها؛ من أجل تغييب الحقائق وتغيير المسلّمات وإفساد الفطر وتضليل العقول.

ولعل من أكبر أسباب الانحراف في قضايا الإيمان والعبادة: إهمالَ الجانب البنائي، وإغفالَ النظر في علوم الاعتقاد ومسائله، باعتبار أنّ الناظر فيها ينشغل بمسائل نظرية لا تُشكّل قيمة كبرى في الحياة العملية، ولا تُطلّ على مستقبل في واقع الإنسان، وبدعوى أنها معلومة بالضرورة لدى كل مسلم.

لكنّ الانفتاح المعرفي الذي نعيشه سلاح ذو حدين؛ فهو وإن أكسب صاحبه الكثير من الخبرات والمعارف، وجعله أكثر رحابة وقبولا للآخر، إلا أنّ إغفال قيمة المعرفة الدينية البنائية والتأصيلية قد يقود -وعلى المدى البعيد- للانحراف عن العقيدة، وقد يؤثر في كثير من قناعات المسلم ويُخلخل إيمانه إلا من عصمه الله.

وإن هذا المقرر يشمل التقسيمات الرئيسية التالية:

نظرة عامة حول مصادر المعرفة الدينية.

القسم الأول - الإيمان، حقيقته وأركانه:

مدخل إلى مسائل الإيمان.

الوحدة الأولى : الإيمان بالله.

الوحدة الثانية : الإيمان بالملائكة.

الوحدة الثالثة: الإيمان بالكتب.

الوحدة الرابعة: الإيمان بالرسل.

الوحدة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر.

الوحدة السادسة: الإيمان بالقدر.

الوحدة السابعة: نواقض الإيمان.

القسم الثاني - العبادة، حقيقتها وطريقها:

الوحدة الأولى: حقيقة العبادة.

الوحدة الثانية: محركات العبادة.

الوحدة الثالثة: قبول العبادة.

الوحدة الرابعة: رأس العبادة.

الوحدة الخامسة: الصوارف عن العبادة.

الوحدة السادسة: التفريط في العبادة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نظرة عامة حول مصادر المعرفة الدينية

نظرة عامة حول مصادر المعرفة الدينية

تهدف هذه النظرة العامة حول مصادر المعرفة الدينية إلى :

١- تعظيم قدْر الوحي في النفوس والوقوف عند ما يقتضيه هذا التعظيم والإيمان من العمل الصالح؛ لأنّ الوحي هو المصدر الذي يبني المسلم به معارفه الصحيحة التي تدلّ على الله تعالى ودينه الحق.

٢- رسم منهج صحيح ينظر فيه الإنسان لذاته نظرة معتدلة؛ فلا يغالي في تمجيد ما خلق الله فيه من آلات حسية وعقلية وينصرف بها عن الله تعالى خالق الوجود، ولا يَعمى عن إدراك قيمة الآلات الحسية والعقلية المخلوقة فيه فيُعطّلها عما خُلقت لأجله أو يستثمرها فيما لا يرضيه أو يتعايش مع واقعه المادي بغير اعتدال.

٣- بناء موقف صحيح من الوحي يؤكد فاعليته وتأثيره على الإنسان وقيامه بما يغذي الحاجات الطبيعية فيه فطرية كانت أو حسية أو عقلية ، فخطاب الوحي يتفاعل مع المخاطَب ويستثمر كل ما فيه من آلات للوصول للحق والقيام به.

٤- بيان طبيعة الوحي، وأنّ السبيل لتحصيل العلم المتعلق به يأتي من جهة عُلويّة غيبية لا سبيل لتحصيلها بالجهد والاكتساب البشري،وإنما هي علم نزل من عند الله كي يجيب عن أسئلة الإنسان ويُشبع فضوله المعرفي ويُلبي حاجته للإله المعبود.

٥- بيان صور الوحي وذكر شواهد له من كلام الله وكلام نبيه.

٦-إدراك محدودية الحس وبيان خطأ غلاته الذين ألغوا مصدر الوحي كليا أو جزئياً.

٧-إدراك محدودية العقل وبيان خطأ غلاته الذين ألغوا مصدر الوحي كليا أو جزئياً .

٨-بيان خطورة المغالاة في استعمال الحس والعقل، وأنها تؤدي لإنكار المعارف الغيبية التي تتجاوز محدوديتهما وتوقع في الخوض فيما لا يمكن الخوض فيه من الأمور المتعلقة بقضايا الاعتقاد التوقيفية.

٩-بيان خطورة تعطيل الحس والعقل، وأن عدم استخدامهما في معرفة الله ودينه يؤدي إلى الانحراف، والندامة يوم القيامة.

١٠- العقل الصحيح لا يعارض وحي الله تعالى؛ لأن الوحي قائم على إعماله، والله تعالى ميّز الإنسان به في أصل خلقته لإعماله والاسترشاد به لا لتغييبه أو الانحراف به.

١١- دعوى تعارض الدين مع العقل صناعة جاء بها الدين الكنسي المحرّف في عدائه للعلوم بالقرون الوسطى، ونهضت عليها المادية المعاصرة اليوم في عدائها للدين بإطلاق.

أهمية مصادر المعرفة

نالت قضيةُ مصادر المعرفة الدينية في الإسلام أهميةً جوهريةً بالغةً؛ لأن الله ﷻ أراد من عباده أن يعتقدوا في دينهم الاعتقاد الصحيح، ويبنوا المعارف الصحيحة التي تدل عليه.

ومن كانت مصادره للمعرفة صحيحة وسليمة فستكون اعتقاداته ومعارفه صحيحة وسليمة ومن كانت مصادره للمعرفة مغلوطة وخاطئة فستكون اعتقاداته ومعارفه مغلوطة وخاطئة.

والمعرفة الدينية الصحيحة تدفع للإيمان وتزيده، والإيمان يدفع للاستجابة والعمل، قال الله تعالى في بيان الارتباط بين العلم والعمل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزمر:٩].

آلية التعامل مع مصادر المعرفة الدينية

يمكن تقسيم مصادر المعرفة في الجملة -باعتبار منشئها- إلى:

١- **مصادر مخلوقة:** وهي مصادر داخل هذا الكون، كأن تكون أخبارا يسمعها الإنسان من الآباء السابقين، أو نظريات علمية ينشئها علماء الفيزياء المعاصرون، أو أفكاراً عقلية متعمقة فكّر بها المفكرون المثقفون، أو تجارب مختبرية متكررة قام بها الباحثون، أو إدراكاً بالحواس الخمس لشيء ما بالسمع أو البصر أو اللمس أو الذوق أو الشم.

٢- **المصدر الإلهي:** وهو الذي منشؤه من الله ﷻ الذي يوحي وحياً فيخبر الناس من خلال رسله عليهم السلام بمعارف واعتقادات أو يأمرهم بتصرفات وعبادات.

وكل إنسان مفطور على البحث عن الحقيقة، فهو بطبعه يبحث عن جواب لأسئلته، ويندفع تلقائيًا للنظر والتفكّر.

وقد وجد الإنسان في مصادر المعرفة المخلوقة داخل الكون جواباً لأسئلة متعلقة

بالحيوان والنبات والإنسان والفلك والذرة، فتعرّف مثلا على طريقة نمو النبات، وتشريح جسد الإنسان، وكيفية نمو الجنين في الرحم، وكيفية انتشار بعض الأمراض وعلاجها، وغيرها من العلوم التي يحتاج إليها في معاشه وحياته.

ولكن لم تسعفه هذه المصادر في الإجابة عن أسئلة أخرى كبيرة، بل كبيرة جدا، متعلقة بنشأته، وسبب وجوده، بل سبب وجود هذا الكون، ومصيره، وإلى أين المسير؟ وهل حياة الإنسان تنتهي بمجرد وفاته فتنتهي علاقته بالوجود أم هناك حياة أخرى؟ ولماذا؟ وما هي؟ وماذا نقدم لها؟ وكيف نستعد لها؟ وما المطلوب منا في هذه الحياة؟ وكيف ننفّذ هذا المطلوب على أتم الوجوه دون انحراف ولا تغيير؟

وليس هذا بغريب؛ فإن هذه المصادرَ المخلوقةَ محدودةٌ بحدود الزمان والمكان والحال، ومحدوديتها ظاهرة.

فإن إدراك الإنسان بحسه للأمور المشاهدة مثلا يقف عند ما تدركه عينه في سنين عمره، ولكن كيف يدرك ما غاب عنه أو حدث قبل ولادته، أو بعد موته. وهكذا إدراكه للأصوات وأنواع الإدراك الحسي الأخرى، وكذلك العقل يقف عند حدود معلوماته.

وقد حارت البشرية الجاهلية البعيدة عن الله في الإجابة عن هذه الأسئلة؛ وهذا هو الطبيعي لكل من ابتعد عن الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

وهذا أحد هؤلاء الحائرين يحكي حيرته بسبب بعده عن الله ومنهجه؛ فيقول:

"جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي... لست أدري!
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود
هل أنا حر طليق أم أسير في قيود

هـــل أنـــا قائـــد نفسـي في حياتي أم مقـــود
أتمنـــى أننـــي أدري ولكـــن .. لســـت أدري!" [1]

إن الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة -حقيقة الكون والدنيا والآخرة، وحقيقة حكمة الخلق، وحقيقة العبودية للخالق، وطريق العبودية، والجزاء والحساب- هو طريق واحد فقط: هو تعلُّمها من وحي الله ﷻ.

وهذا هو الطريق الوحيد للخروج من ضيق المصادر المحدودة إلى سعة العلم الإلهي، والالتجاء إلى وحيه الكريم سبحانه وتعالى.

والوصول لحقيقة الإيمان وما يتعلق بها من قضايا جوهرية تمس باب الاعتقاد والتشريع إنما يحصل من خلال مصادر المعرفة الدينية التي يتعرّف المسلم بها على دينه، ويدين لربّه وينقاد انقياد العارف به المتتبّع لآياته الكونية والشرعية وما تضمّنته من دلائل ثبوتية متنوعة تبني تصورات صحيحة منسجمة مع تكوين الإنسان وحاجاته الفطرية والعقلية والحسية.

ومصادر المعرفة الدينية أول القضايا وأهمّها لكل مسلم؛ لأنها الغرْس الذي يصلب بها عُود الإيمان ويتقوّى، والإيمان وما يتعلق به من أعمال هو ثمرة المعرفة الصحيحة لله تعالى ودينه الحق.

ومصادر المعرفة الدينية تُحدد لنا الوجهة التي نسلكها في الكون، وتجعلنا نتعامل مع الكون المحيط بنا وخالقه التعامل الصحيح، فقد صاغ الإسلام مفاهيم جديدة، وبنى تصورًا مختلفًا للكون يخالف ما كان عليه الناس في جاهليتهم قبل نزول الوحي، ففرس فيهم معارفه التي نزلت على خير المرسلين نبينا محمد ﷺ؛ لينقل الناس من حدودهم المعرفية الضيّقة المتعلّقة بالأماكن والأشخاص إلى فضاء الإيمان الأرحب الذي يعلّق القلوب بخالقها، ويُعرّفها بحقيقة الخلق والإيجاد ويُعلّمها ما لم تكن تعلم.

وإن مصادر المعرفة في عمومها تترتّب بحسب نوع المعرفة؛ فإن كانت المعرفة دينية فالمصدر الأصلي هو الوحي والمصادر الأخرى مساندة، وإن كانت المعرفة دنيوية تجريبية

(١) ديوان إيليا أبو ماضي، ص ١٩١ .

بحتة لا تتعلق بأمور الدين فمصدرها التجربة.

وفي بناء المعرفة الدينية لا بد وأن يُتعامل مع المصادر الحسية والعقلية التعامل الصحيح الذي يراعي محدوديتها، إذ هذه المصادر بالنسبة للمصدر الديني الذي هو الوحي مصادر إدراك وإثبات له، فننظر في طريقة تفسيرها وإعمالها لنبني تصورا صحيحا للوحي نفهمه ونتعبد به الله.

وقديماً قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ومثال ذلك: العقل، فلا شك أن العقل مصدرٌ من مصادر المعرفة والتعلم.

وقد قاد العقلُ أناساً للإيمان بالله ومعرفته، وأمر الله ﷻ بالتعقل، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:٤٤]، وأمر بالتفكر والتأمل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[الروم:٩].

والعقل قد قاد صاحب ياسين لعبادة الله حيث قال متسائلا: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[يس:٢٢] أي ما دمت مقرا بربوبية الله وخلقه لي فإن هذا يقتضي أن أعبده.

وقاده عقله لنبذ الشرك فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[يس:٢٣]؛ فأدرك بعقله أن هذه الآلهة التي لا تملك نفعا ولا ضرا لا تستحق العبادة.

وفي المقابل، فإن العقل قد قاد إبليس عدوَّ الله للكفر بالله والإعراض عنه، فإن الله لما أمره بالسجود لآدم تشريفا وتكريما، أبى واستكبر وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص:٧٦]، فقياسه العقلي وظنه أن النار أشرف من الطين، وأنه أشرف من آدم قاده للإعراض عن أمر الله تعالى بالسجود، ثم لاستحقاق اللعن والطرد عن رحمة الله.

ومثال آخر: نصائح الآباء والأجداد تشكل مصدراً للمعارف.

وقد قادت هذه النصائح أناساً للإيمان بالله ومعرفته، ومثاله لقمان عليه السلام، آتاه الله الحكمة، فنصح ولده قائلا: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان:١٣].

وفي المقابل، فإن الاستمساك بعلوم الآباء والأجداد المعارضة لكتاب الله ودينه قد قادت أناساً للكفر بالله والجحود والعناد والاستكبار. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الزخرف:٢٣].

وهكذا فإن آلية التعامل مع مصادر المعرفة تبيّن لنا حدود هذه المصادر، وتبين لنا طريقة فهمها وإعمالها بالشكل الصحيح.

أقسام مصادر المعرفة الدينية

تنقسم مصادر المعرفة الدينية -باعتبار كونها أصلية أو مساندة- إلى:

المصدر الأصلي: الوحي

حقيقة الوحي:

الوحي هو المصدر الذي نتلقّى منه مسائل الدين، ونتعّرف من خلاله على أصول الاعتقاد والتشريع، وهو المرجع الذي نحتكم إليه، والقاعدة التي نرتكز عليها، وحَلَقة الوصل التي تربطنا بخالقنا وديننا على جهة الاستقلال، فهو عُمدتنا حينما نريد التعرّف على الله والتعبّد له وتحكيم شرعه.

والوحي معرفة تتجاوز حدود المعرفة البشرية، فلا يمكن إدراك حقيقتها بالاكتساب والجهد البشري، وإنما تُعرف من جهة الخبر الصادق عنها وهم الأنبياء المعصومون.

والوحي في دين الإسلام هو القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ، ويتبع الوحي: ما قرره من أدلة تابعة؛ كالإجماع، والقياس، وغيرهما من الأدلة الشرعية المعتبرة التي دل الوحي عليها.

ومعنى الوحي لغة: الإشارة، والرسالة، والإلهام[٢].

ومعنى الوحي اصطلاحًا: إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلّغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة[٣]، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[الشورى:٥١].

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٥/ ٣٧٩-٣٨٠. وينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ٥/ ٢٩٦. والصحاح، للجوهري، ٦/ ٢٥١٦. وغريب الحديث، لابن الأثير، ٥/ ١٦٣.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبو شهبة، ص: ٨٤. وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ١/ ١٢٤.

صور الوحي:

للوحي صور أربعة، هي:

وفيما يأتي تفصيل الحديث عن صور الوحي:

الصورة الأولى- كلام الله تعالى لنبيه مباشرة من وراء حجاب:

المقصود بهذه الصورة: أن الله تعالى إذا تكلّم بالوحي فإن كلامه يكون بصوت مسموع، على ما يليق به سبحانه، حيث لا يشبه كلامه كلام المخلوقين، وهو منزّه عنهم في ذاته وأسمائه وصفاته.

وهذه الصورة من صور الوحي تسمى (**الوحي بغير واسطة**)؛ حيث يسمع النبي كلام الله تعالى مباشرة دون أن يراه، فيكون الكلام من وراء حجاب، وهذا النوع من التكليم من وراء حجاب حصل لموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، وحصل لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، كما في حديث الإسراء أن النبي ﷺ حين عُرج به إلى الجبار ﷻ، فرض عليه الصلوات خمسين صلاة، وما زال يراجع ربه في تخفيفها حتى جعلت خمس صلوات، ثم نادى منادٍ: (إني قد أمضيتُ فريضتي وخفّفتُ عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا)[٤].

الصورة الثانية- كلام الله تعالى لنبيه بواسطة الملَك:

يسمى هذا النوع من وحي التكليم (**الوحي بواسطة**)؛ حيث يسمع المَلَك كلام الله ثم

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري(٣٢٠٧و٣٨٨٧)، وصحيح مسلم(١٦٤).

يبلّغه إلى أنبيائه.

والوحي بواسطة مَلَك له حالان:

١) أن يأتي المَلَك في صورة رجل فيكلّم النبي بالوحي كما يكلّم البشر بعضهم بعضاً، كما ورد أن جبريل عليه السلام جاء في صورة رجل حسن الهيئة[٥]، فسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة -في الحديث الطويل المشهور-[٦].

٢) أن يسمع النبي صوت المَلَك كصلصلة الجرس في قوّته، فيعي النبي ﷺ ما كلّمه به.

وقد سُئل النبي ﷺ عن الوحي كيف يأتيه؟ فقال: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول)[٧].

الصورة الثالثة- الإلهام:

هو إلقاء الوحي في قلب النبي من غير صوت إلقاءً تحصل به معرفة يقينية أنه من قِبَل الله تعالى[٨]. ودليله قوله ﷺ: (إنّ روح القدس نَفَثَ في رُوعي[٩] أنّ نفْساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلب)[١٠].

الصورة الرابعة- الرؤيا الصالحة:

هي الرؤيا التي يراها الأنبياء في منامهم وتكون وحياً من الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧].

ورؤيا الأنبياء حق ويثبت بها شرع، ولذلك أقدم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل

(٥) ينظر: فتح الباري، ١٩/ ١.

(٦) متفق عليه، صحيح البخاري(٥٠ و٤٧٧٧)، وصحيح مسلم (٨و١٠).

(٧) صحيح البخاري رقم(٢).

(٨) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، ١٥٩/٤، والتعريفات، للجرجاني، ص٣٤.

(٩) أي ألقى إليّ وأوحى في نفسي.

(١٠) سنن ابن ماجه(٢١٤٤)، والحاكم، ٤/٢، وابن حبان رقم(١٠٨٤)، وأبو نعيم في الحلية، ٢٧/١٠.

عليهما السلام بمجرد الرؤيا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الصافات:١٠٢-١٠٥].

وقد افتُتح الوحي للنبي ﷺ بالرؤيا، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه -وهو التعبّد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء..).[١١]

المصادر المساندة التي أقرّها الوحي ورسم حدودها

أولاً- الفطرة:

معنى الفطرة وأمثلة المعارف الفطرية:

الفطرة هي الخِلقة التي يكون عليها الإنسان في أول أمره[١٢].

والمعارف الفطرية هي المعارف التي يدركها الإنسان بفطرته.

ومن أمثلة المعارف الفطرية:

١) أن الله جل جلاله قد فطر الإنسان على معرفة الله والإيمان به.

ومعنى فطرة الإنسان على معرفة الله والإيمان به: أن الله خلق الإنسان وفيه التمكن من الهدى في أصل خِلْقته، والتهيّؤ لقبول الدين، فيولد الإنسان مغروساً فيه محبته لفاطره وإقراره له بربوبيته، واعترافه له بالعبودية، فلو خُلِّي وانعدمَ المُعارِض لم يعْدِل عن ذلك إلى غيره، مثلما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية، والأشربة، فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه، فيبقى المولود على أصل الفطرة حتى ينحرف عنها لآفة من الآفات كالتقليد أو اتباع الهوى أو اتباع الشيطان.[١٣]

---

(١١) متفق عليه، صحيح البخاري(٣ و ٣٣٩٢)، وصحيح مسلم(١٦٠).

(١٢) ينظر: الصحاح، للجوهري، ٧٨١/٢. ولسان العرب، لابن منظور، ٥٦/٥.

(١٣) ينظر: شفاء العليل، لابن القيم، ص٥٧٨-٥٧٩، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٣٥٩/٨.

ولهذا شبّه الرسول ﷺ المولود على الفطرة بالبهيمة حين تخلق مكتملة الخلق قبل أن تُغيَّر خلقتها بالجدع[١٤]، يقول ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء[١٥])[١٦].

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

وليس المراد بفطرة الإنسان على الإيمان: أن يولد الإنسان عالماً بأمور الإيمان تفصيلاً؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]، وليس المراد أيضاً أن يولد ساذجاً لا يعرف شركاً ولا توحيداً.

ومن الدراسات المعاصرة في علم النفس ما يؤكد بأنّ الطفل يولد بنزوع طبيعي سلس إلى الإيمان بالله، وأنّ الإلحاد موقف مكتسب طارئ.[١٧]

٢) أن الله جل جلاله قد فطر الإنسان على معرفة الخير والتوجه إليه، ومعرفة الشر والإعراض عنه.

ومعنى فطرة الإنسان على معرفة الخير والتوجه إليه: أن الله خلق الإنسان مميزًا للخير، مستحسنا له، يميل إليه ميلان المُحب المُريد الراغب المتشوّق، فإذا سلك طريق الخير صلح حاله وطابت نفسه، ووجد في طريقه انشراحًا وسعادة، وأحس لذّةً وراحة.

وليس المراد بفطرة الإنسان على معرفة الخير والتوجه إليه: أنه لن يترك خيرا قطا! بل قد يتركه لمعارض أقوى منه، أو بسبب داعٍ دعاه إلى ترك الخير، أو زيّن له تركه.

---

(١٤) الجدع: القَطْع، ويكون القطع لأذن البهيمة أو أنفها. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٤١. والصحاح، للجوهري، ٣/ ١١٩٣.

(١٥) معنى الحديث: أن البهيمة تلد بهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها. ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٦/ ٢٠٩.

(١٦) متفق عليه، صحيح البخاري(١٣٥٩، و١٣٨٥)، وصحيح مسلم واللفظ له(٢٦٥٨).

(١٧) ينظر:
Natural-theological Understanding from Childhood to Adulthood, By Olivera Petrovich.

ومعنى فطرة الإنسان على معرفة الشر والإعراض عنه: أن الله خلق الإنسان مميزا للشر، مستقبحا له، يعرض عنه إعراض الكاره المبغض المعرض، فإذا سلك طريق الشر ساء حاله واضطربت نفسه، ووجد في طريقه ضنكاً واضطرابا، وأحس ألماً وقلقاً.

وليس المراد بفطرة الإنسان على معرفة الشر والإعراض عنه: أن لن يفعل شرا قط! بل قد يفعل الشر لمعارض أقوى، أو بسبب داعٍ دعاه إلى فعل الشر، أو زيّنه له.

٣) وهناك معارف فطرية أخرى كثيرة فطر الله جل جلاله الإنسان عليها، منها:

- استحسان الصدق، واستقباح الكذب.
- استحسان العدل، واستقباح الظلم.
- استحسان الأمانة، واستقباح الخيانة.
- استحسان الكرم، واستقباح البخل.
- استحسان الصلة، واستقباح القطيعة.
- استحسان الإحسان، واستقباح الإساءة.
- استحسان النكاح، واستقباح السفاح.
- استحسان نكاح الأجنبية، واستقباح نكاح الأم والبنت والأخت والمحارم.
- استحسان ستر العورات، واستقباح كشفها، على تفاوت بين البشر في مقدارها.

قواعد في مصدر الفطرة:

١- الفطرة هي أصل الخلقة التي خلق عليها الإنسان، ويمكن تغييرها وتبديلها وفقا لعدد من العوامل، كما جاء في الحديث الشريف: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء)[١٨]. وكلما كانت الفطرة أصفى وأسلم من التغيير والتبديل كانت دلالتها على المعارف الدينية أقوى وأصح.

٢- المعرفة الفطرية بالله والإيمان به ليست كافية في إقامة الحجة على الخلق، ولا كافية في إيقاع عذاب النار على مخالفها، فإن الله تعالى -رحمة منه- لا يعذب إلا بعد بلوغ رسالة الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[الإسراء:١٥].

٣- الفطرة تدل على أصول المعارف الدينية، لا على تفاصيل المعارف الدينية.

---

(١٨) متفق عليه، صحيح البخاري(١٣٥٩، و١٣٨٥)، وصحيح مسلم واللفظ له(٢٦٥٨).

ثانيا- الحس:

معنى الحس وأمثلة المعارف الحسيّة:

الحسّ أداة الإحساس بالشيء.

والمعارف الحسية: هي المعارف التي يدركها الإنسان بحواسه الخمسة: السمع والبصر والشم واللمس والذوق.

ومن أمثلة المعارف الحسية:

١) معرفة نمو النبات وكيف يبدأ بذرة حتى يصير شجرة، ومعرفة موت النبات عند انقطاع الماء عنه، وهذه معرفة حصلت بالإدراك بالرؤية.

٢) معرفة حرارة النار والجمرة، وهذه معرفة حصلت بالإدراك باللمس.

قواعد في مصدر الحس:

١- **وظيفة الحواس:** الحواس يستعملها الإنسان المؤمن والكافر للإدراك الحسي للموجودات، ولكن الكافر يقف عند حدود هذا الإدراك، وأما المؤمن فإنه لا يقف عند حدود هذا الإدراك.

فالحواس عند المؤمن ليست مجرّد أدوات للاستعمال الآلي الوظيفي المُجرّد الموجود لدى كل الكائنات الحية، بل المؤمن يستعين بالنظر لإدراك عظمة خالق الموجودات على تنوّعها، ويستعين بالسمع لإدراك عظمة خالق الأصوات على تنوّعها، ويستعين بالتذوّق لإدراك عظمة خالق المطعومات والمشروبات على تنوّعها؛ فكل حاسة تدفع للتصور الذهني الذي تُدرك به عظمة الخالق ودقة صنعه وتفرّده عن كل ما سواه؛ فيكون من الطبيعي التوجّه لله تعالى بالقصد والطلب.

قال أبو العتاهية على سبيل التعجّب والاستنكار على من لم توصله حواسه لمعرفة الله تعالى خالق الوجود والإيمان به:

فيا عجبًا كيف يَعصي الإلهَ ... أم كيف يجحدُهُ الجاحدُ
ولله في كـــل تحـريكـة ... وفي كـل تسكينـة شاهدُ
وفي كُـــلِ شيءٍ لـــه آيةٌ ... تـــدلُّ علـــى أنَّه واحِدُ[١٩]

(١٩) ديوان أبي العتاهية، ص١٢٢.

ولذلك يقول الله تعالى في شأن المعرضين الغافلين الذين وقفوا عند استعمال حواسهم استعمالا ظاهرياً دون نظر قلبي وراء هذه الحواس: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم﴾[الأحقاف:٢٦].

والله تعالى في كتابه الكريم يحث الإنسان على استعمال حواسه الاستعمال الصحيح الموصل للمعرفة الصحيحة ويُبيّن طبيعتها، فهو يدعو للنظر الحسي الذي يدفع للنظر العقلي، فيقول: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية:١٧-٢٢].

ونظر المسلم للنبات يحيى بالمطر بعد الموت يذكره ببعث الناس من قبورهم ، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فصلت:٣٩].

وإدراك المسلم لحرارة النار يبعث في قلبه الخوف من نار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشُِٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾[الواقعة:٧١-٧٣].

٢- **محدودية المعارف الحسية:** المعارف الحسية محدودة، فالإنسان يصيبه المرض، وتطرأ عليه العوارض. والمريض قد يجد الحلو مراً، والأحول قد يرى الواحد اثنين.

والحواس الصحيحة السليمة محدودة -كذلك- بحدود المكان؛ فالإنسان لا يمكنه أن يرى بعينه كل شيء في الوجود، ولا أن يسمع بأذنه كل صوت في الوجود، ومحدودة -كذلك- بحدود الزمان؛ فالإنسان لا يمكنه أن يرى ما هو موجود قبل ولادته، ولا أن يرى ما هو موجود بعد وفاته، ومحدودة -كذلك- بحدود القدرة والاستطاعة؛ فالعين المجرّدة لا يمكنها إدراك الأشياء الصغيرة جدا ولا البعيدة جدا، والأذن لا تدرك الأصوات المنخفضة جدا ولا البعيدة كذلك.

٣- **تعطيل مصدر الوحي كليا أو جزئيا -بناء على الغلو في الحس-:** كفرٌ بالغيب الذي هو أصل الإيمان، وإعراضٌ عن التسليم لله ورسوله ﷺ الذي هو أصل الإسلام؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[البقرة:٢٠٨].

فغلاة الحس لايؤمن الواحد منهم إلا بما يدركه بحسه ومالم يدركه بحسه فإنه لا يتصور وجوده ولا يؤمن به.

ومعارضة الوحي بالحس من جنس اعتراض الكافرين بقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة:٥٥]، وقولهم: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[الجاثية:٢٥]، وقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[الإسراء:٩٠].

وهي نوع من الكبْر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان:٢١].

ثالثًا- العقل:

معنى العقل وأمثلة المعارف العقلية:

العقل: آلة التمييز والإدراك لدى الإنسان التي أنعم الله بها عليه.

والمعارف العقلية: هي المعارف التي يدركها الإنسان بعقله.

ومن أمثلة المعارف العقلية:

١) معرفة أن الجزء أصغر من الكل، وأن الواحد نصف الاثنين.

٢) معرفة أن النقيضين لايجتمعان ولا يفترقان فلا يمكن أن يكون الشيئ موجوداً وغير موجود في آنٍ واحد.

قواعد في مصدر العقل:

١) **وظيفة العقل** : العقل مناط التكليف، ومتى ما أحسن المسلم توظيفه- فلم يُعطّله أو يُغذّه بالأفكار المُضلِّلة- فإنه سيُصبح له الدليل والموجّه والمرشد والحاكم الذي يشترك مع بقية المعارف في تعريفه بغاية الوجود، وطبيعة الخلق والإيجاد، والمصير المتحقّق للأحياء فيه، والجزاء الأوفى الذي ينتظرهم.

وإنّ من شكر المنعم استخدامَ ما أنعم به على الإنسان فيما خُلق لأجله، لا فيما يحول بينه وبين ما خُلق لأجله.

وفي بيان هداية العقل، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:١٩٠]، ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[النحل:١٢-١٣].

وفي بيان إهمال العقل وإفساده وترك الاسترشاد به، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾[الملك:١٠].

والعقل قد يوصل صاحبه إلى معرفة أصول دين الإسلام، ولكنه لا يستقل بإدراك تفاصيل الحقائق الشرعية والكونية؛ لأنه مخلوقٌ محدود.

٢) **محدودية المعارف العقلية:** المعارف العقلية محدودة، فالإنسان يصيبه المرض، وتطرأ عليه العوارض. ومن العوارض التي تعرض للعقل: النوم والجنون والإغماء والإرهاق والإعياء.

والعقول الصحيحة السليمة محدودة -كذلك- بحدود المكان؛ فالإنسان لا يمكنه أن يعقل ما لم يدركه أبدا في الوجود، ومحدودة -كذلك- بحدود الزمان؛ فالإنسان لا يمكنه أن يعقل ما هو خارج زمانه، ومحدودة -كذلك- بحدود القدرة والاستطاعة، فالإنسان لا يمكنه أن يدرك بعقله المجرّد تفاصيل العلاقات في الكون من حوله.

٣- **تعطيل مصدر الوحي كليا أو جزئيا -بناء على الغلو في العقل-:** كفرٌ بالغيب الذي هو أصل الإيمان، وإعراضٌ عن التسليم لله ورسوله ﷺ الذي هو أصل الإسلام؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[البقرة:٢٠٨].

فغُلاة العقل يعدّون العقلَ هو الأصل الذي ينطلق الإنسان منه ويعتمد عليه في قبول أو رد نصوص الوحي؛ فما وافق عقل الواحد منهم من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أخَذَ به، وما خالف عقله ردّه أو أوّله بما يمليه عليه عقله من تأويلات فاسدة تخرج دلالات النصوص عن معناها الصحيح لما وافق هواه ومال إليه، فصار الواحد منهم يَطلب الاقتناع العقلي بكل شريعة يُطلب العملُ بها، وبكل عقيدة يُطلب التصديق بها، وقد يزيد

انحرافاً فيُحلّ العقل محل الوحي ويلغي الوحي تماما.

وهؤلاء لا يمكنهم إدراك تفاصيل حقيقة الغيب التي تقوم عليها قضايا الاعتقاد، ولن يقروا بكل ما لم تدركه عقولهم التي تعمل داخل إطار المادة وضمن حدودها. فكيف يصلون إلى الله وإلى دينه الحق إذا لم يُقرّوا بمحدودية العقل؛ مثل إقرارهم بأنّ النفس محدودة بزمن معيّن، وأنّ طاقة الإنسان ونشاطه مهما بلغت من الذروة تنطفئ، وأنه ينام لأن حدود تكوين البشر كذلك لها قَدْر وميزان دقيق لا تتعداه.

ومعارضة الوحي بالعقل من جنس اعتراض إبليس بعقله على أمر الله له بالسجود لآدم فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وخلقته من طين﴾[الأعراف:١٢]، ومن جنس اعتراض المشركين على تحريم الربا بقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[البقرة:٢٧٥]، واعتراضهم على إثبات البعث بقولهم: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨﴾[يس:٧٨].

وهي نوع من الكبْر، قال الله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾[البقرة:٨٧].

منشأ الصراع بين العلم والدين

مصادر المعرفة عموما -والمعرفة الدينية خصوصا- كانت تسير ولا زالت عند المسلم متوافقة متوازية يؤيد بعضها بعضا، ويسند بعضها بعضا.

فالمعلومة الدينية تتأيد دائماً أو غالباً بأدلة الوحي والعقل والحس والفطرة، والمعلومة الدنيوية المادية التي مصدرها الحس والتجربة ربما تأيدت بدليل من الوحي، وربما سكت الوحي عنها لخضوعها لأمور دنيوية بحتة متروكة للناس.

ولم يوجد قط في دين الإسلام -منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى اليوم- تعارضٌ بين الدين والعلم، ولا تعارضٌ بين الوحي والمصادر الأخرى للمعرفة كالعقل والحس والتجربة.

بل الإسلام يأمر بالعلم ويحث عليه، قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

كما يرفع الإسلام من قيمة العلماء ويعلي ذكرهم، قال الله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝١١﴾ [المجادلة:١١].

وقد برز في التاريخ الإسلامي عدد من العلماء -ولا زالوا إلى اليوم- ممّن جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وجمعوا بين تفوقهم في عبودية الله سبحانه وتعالى وتفوقهم في الاكتشافات العلمية المادية.

ومن علماء المسلمين الذين أسسوا علوما وكانت لهم إسهامات في مختلف فروع العلم:

الخوارزمي مؤسس علم الجبر (ت٢٣٢هـ)، **ومحمد بن جابر البتاني** عالم الفلك (٣١٧هـ)، **والبيروني** عالم الجيولوجيا (ت ٤٤٠هـ)، **وابن النفيس** الطبيب الفقيه الشافعي (ت ٦٨٧هـ) صاحب الكتب في علوم الطب والفقه والحديث، **وابن خلدون** (ت ٨٠٨ هـ) عالم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

وعلى امتداد التاريخ الإسلامي وحتى واقعنا المعاصر نجد على غرار أولئك العلماء الكثير ممن استثمروا حياتهم في طلب العلم النافع، وبرزت جهودهم في كل علم وفن، مستمدين من نصوص الوحي المنهج والطريق، مستلهمين ومسترشدين بنور الكتاب والسنة.

وكانت هذه النماذج -ولا زالت- محل تقدير المسلمين وإعجابهم واحترامهم، لم يروا أن

معرفتهم بالدين تصدهم عن المعرفة بعلوم الدنيا، ولا أن علمهم بعلوم الدنيا يصدهم عن الدين.

ولكن لم يكن هذا الانسجام بين العلم والدين في سائر بقاع الدنيا، ولا عند كل الناس؛ فربما حصل عداء بين العلم والدين مرده إلى دينٍ محرّف أو علوم باطلة، وهذا العداء أثمر صراعا وصل إلى الحروب والقتال في بعض الأحيان.

ومن أسوأ تجارب الصراع بين الدين والعلم: ما عاشته أوروبا في قرون من الزمن، سواء عاشته في ظل الكنيسة التي حرفت دين الله الذي نزل على أنبيائه موسى وعيسى عليهم السلام وأعرضت فيها عن دين الإسلام وكفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، أو عاشته في ظل المادية المغالية المنحرفة التي هجرت الدين المحرف الذي تسلط عليها، وهاجمت الدين جملة وتفصيلا.

لقد استعبد أحبار الكنيسة ورهبانها الناس باسم الدين؛ فلا يقدر أحد أن يدخل الجنة -عندهم- إلا من طريقهم، ولا يستطيع التوبة من ذنوبه إلا بالاعتراف أمامهم، وصار الدين يتطور وفقا لأهوائهم، فالحلال ما أحله الرهبان لا ما أحله الله، والحرام ما حرمه الرهبان لا ما حرمه الله، وصارت صكوك الغفران تباع في الكنيسة، وأراضي الجنة توزّع من خلالهم!

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]

وقال الله تعالى مبينا كتمانهم للحق، ولبسهم للحق بالباطل لأجل أثمان قليلة! ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ البقرة ٤٠-٤٢

وقال الله تعالى مبينا إخلافهم الميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران ١٨٧].

وقال الله تعالى متهددا لهم بالويل والثبور: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ

ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

وكان من الطبيعي أن يحرص العلماء الذين عاشوا في ظل ويلات الكنيسة على تحررهم من عبودية الأحبار والرهبان، خصوصا بعد اتصال هؤلاء العلماء بالعالم الإسلامي ورؤيتهم للمسلمين الذين يصلون لله تعالى ويدعونه ويتوبون إليه دون واسطة و دون اعتراف أمام أحد ودون أن يضطروا لشراء صكوك الغفران بأبهظ الأثمان! ويسألون الله الجنة مباشرة دون أن يضطروا لشراء أراضي الجنة من أحد بأبهظ الأثمان!

ومن المحاكمات المشهورة التي قامت بها الكنيسة في هذه الفترة: محاكمة جاليليو الذي قرر كروية الأرض ودورانها حول الشمس، وهو ما لم يعجب الأحبار والرهبان، فقاموا بمحاكمته في محاكم التفتيش والحكم عليه بالإقامة الجبرية إلى وفاته عام ١٦٤٢م.

وكان من الطبيعي كذلك أن تخسر الكنيسة المحرفة القائمة على الدين الباطل والمفاهيم المغلوطة عن الله وعن رسله وعن الدنيا معركتها في آخر المطاف أمام الحقائق المتتابعة، وأمام طلاب الحقيقة، ولكن للأسف أن هذه المعركة انتهت بانتصار الطرف المقابل تماما الذي رفض الأديان جملة وتفصيلا، والذي جعل للدين زاوية في الكنيسة دورها القيام بأناشيد روحية في ساعة من ساعات الأسبوع في يوم الأحد، وأقصت الدين الصحيح والمحرف جميعا عن الحياة، فأبدلت النكاح بالسفاح، والتجارة بالربا، والروح بالمادة، والأخلاق الكريمة بالنفعية المصلحية، والقرابة والرحم بالتمرد والعقوق، والتكامل بين الذكر والأنثى بالصراع بينهما، والستر بكشف العورات، وتكريم المرأة بالمتاجرة بجسدها في الإعلانات والطرقات، والغيرة والحياء والعفة بالفجور والفسوق والعصيان.

إن الصراع بين العلم والدين لم يكن مفردةً من مفردات الإسلام، ولم يعرفها التاريخ الإسلامي، ولكنه كان -ولا يزال- مفردةً من مفردات الصراع بين الأديان المحرفة والعلوم الباطلة، ينتصر فيها أحد الطرفين مرة، ثم تكون للآخر كرّة أخرى بعد ذلك.

وليس هذا مستغربا في دين الإسلام فإن الله الذي خلق الكون وأتقن صنعه وتفاصيله، هو الذي أنزل القرآن الكريم وبعث رسوله صلى الله عليه وسلم. ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

العلاقة بين العقل والوحي

العلاقة بين العقل والوحي تقوم على قواعد مهمة هي:

أولًا: إن العقل الصحيح لا يعارض الوحي الصحيح، وما يحصل في ذهن الناظر من توهم معارضة؛ راجعٌ إلى وهم ظنه عقلاً، أو أثرٍ ضعيف ظنه وحياً؛ إذ إن الله تعالى خالق الإنسان ومنزل الوحي، وهو الأعلم بما يُصلح عباده، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[الملك: ١٤].

ثانيًا: إن أدلة الوحي ليست كلها أدلة خبرية خالصة، بل هي مشتملة على الأدلة العقلية كذلك، مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الطور:٣٥]، ومثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنبياء:٢٢].

ثالثاً: إن المرجع عند الاختلاف إنما يكون للنصوص الشرعية التي هي الوحي المعصوم؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾[النساء:٥٩]؛ لأنّ العقول تتفاوت، وما يزعمه فلان عقلا قد يزعمه الآخر جهلا، لكن الحق هو ما نزل من عند رب العقول على اختلافها.(٢٠)

رابعاً: إنّ العلم الذي هو ثمرة التعقّل إيتاءٌ من الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[القصص:٨٠]، وقال عن الخضر عليه السلام: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[الكهف:٦٥]، والأصل أن يلجأ المسلم إلى الله تعالى بطلب الهداية في تحصيل المعارف وإدراكها، ولا يرجع إلى عقله وحده فيكون مثل قارون الذي قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾[القصص:٧٨].

(٢٠) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٦/٤٤٣. ودرء تعارض العقل والنقل، ١/١٧٠-١٧١. وبيان تلبيس الجهمية، ٨/٥٣٥.

طريقة التعامل مع الشبهات

أولاً- تربية النفس على التسليم لله وترك الخوض والجدل:

مع تعالي نداء الشبهات والشهوات وبواعثها الكثيرة يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[الكهف:٢٨].

ثانياً- الوقوف عند المحكم وترك المتشابه:

المحكم هو الأصل الذي لا يحتمل التأويل وهو غالب ما في القرآن، والمتشابه هو ما يحتمل التأويل.(٢١) والأصل الوقوف عند المحكم وترك الخوض في المتشابه، بل ردّه إلى المحكم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[آل عمران:٧].

ثالثًا- تفسير الوحي بالوحي:

الوحي هو قرآن وسنة، ومن أجود الأدوات التفسيرية للنص القرآني أن يُفسّر القرآن بالقرآن، ويفسّر القرآن بالسنة،(٢٢) بحيث نبحث عن مراد المتكلّم من خلال خطابه؛ لأن أفضل من يستطيع أن يفسر الكلام هو من أطلق هذا الكلام، فمن البداهة العقلية أن يفهم مراد الله من خلال كلامه، وأعرف الناس بمراد الله هو نبيُّه ﷺ الذي قال: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)(٢٣).

رابعاً- التزام منهج السلف الصالح في التلقّي والاستدلال والأخذ بإجماعهم:

والسلف الصالح هم الذين أشار إليهم الرسول ﷺ وحث على لزوم اتّباع منهجهم القائم على التسليم لنصوص الوحيين وفهم معانيها كما أراد الله ورسوله منها، قال ﷺ:

---

(٢١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢/ ٦٨). والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ٣/ ٤.

(٢٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص: ٣٩.

(٢٣) سنن أبي داود (٤٦٠٤).

(خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٢٤]، وكل من سار على منهجهم وإن تأخر به الزمان إلى يوم الدين فهو منهم[٢٥].

خامساً- البعد عن كتب الشبهات:

الكتب المورثة للشبهات هي من العلوم الضارة للمسلم التي تعوقه عن سيره إلى الله سيرا صحيحا سليما.

وقد كان من دعاء رسول الله ﷺ: (اللهم إني أسالك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع)[٢٦].

قال ابن القيم رحمه الله: " قال لي شيخ الإسلام رضي الله عنه وقد جعلت أورد عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقرا للشبهات"[٢٧].

(٢٤) متفق عليه، صحيح البخاري(٢٦٥١)، وصحيح مسلم(٢٥٣٥).

(٢٥) ينظر: الصواعق المرسلة، ٤/ ١٣٤٧. وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ٢/ ١٦٥. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، ٥/ ٣٧.

(٢٦) أخرجه النسائي(٧٨١٨) وأحمد(٣٨٤٣)، وابن حبان(٨٢).

(٢٧) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ١/ ١٤٠.

خلاصة النظرة العامة حول مصادر المعرفة الدينية

١- فهم كلام الله تعالى وكلام نبيه خير ما يعين على الالتزام بالوحي والتسليم به والوقوف عند حدوده.

٢-الوحي جاء مستجيبا لحاجات الإنسان معالجا لمشكلاته متوائما مع واقعه ولم ينشأ الصراع بين الدين والدنيا إلا من تحريف الوحي أو الإعراض عنه .

٣- زوّد الله الإنسان بآلة التمييز (العقل) وآلة الإدراك (الحواس الخمس) كي يصرفها فيما خُلق لأجله (الإيمان والعبادة) لا فيما يحول بينه وبين ما خلق لأجله (الكفر والفسوق والعصيان).

أنشطة النظرة العامة حول مصادر المعرفة الدينية

١. من هم علماء الطبيعة الذين قتلتهم الكنيسة حين وقفت من العلوم موقف صراع وعداء، معتقدةً وجود تناقض بين الدين والعقل؟

٢. من هم العلماء المسلمون الذين جمعوا بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية؟ وما هي أبرز جهودهم العلمية؟

٣. ما هي خطورة مغالاة الإنسان في نظرته للعقل والاغترار به، وما هي خطورة إهمال العقل وعدم إعماله؟ وأيهما أشد خطرا ؟

٤. ما هي الأدلة العقلية على أصول الإيمان الموجودة في سورة الزمر؟

٥. لماذا كان تفسير الوحي بالوحي من أجود الأدوات التفسيرية؟

٦. هل يمكن لصاحب الشبهة أن يستدل بآيات من القرآن الكريم أو من السنة النبوية على انحرافه؟ وكيف يمكن مناقشة مثل هذه الحالة؟

٧. ما موقف الكنيسة من العلم؟ وما موقف علماء الغرب المعاصر من الدين؟ ولماذا وجد تعارض بين الدين الكنسي والعلم، ولم يوجد تعارض بين دين الإسلام والعلم؟

٨. هل يمكن أن يحصل تعارض بين الحس والعقل والفطرة والوحي؟

٩. كيف نجيب على من يقول إنه لا يمكن الاستدلال بالقرآن على أصول الإيمان الكبرى لأن ثبوت القرآن فرعٌ عن ثبوت أصول الإيمان الكبرى؟

الإيمان والعبادة

١

الثقافة الإسلامية

القسم الأول

١

الإيمان، حقيقته وأركانه

ويشمل :

مدخل إلى مسائل الإيمان.

الوحدة الأولى: الإيمان بالله.

الوحدة الثانية: الإيمان بالملائكة.

الوحدة الثالثة: الإيمان بالكتب.

الوحدة الرابعة: الإيمان بالرسل.

الوحدة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر.

الوحدة السادسة: الإيمان بالقدر.

الوحدة السابعة: نواقض الإيمان.

القسم الأول الإيمان، حقيقته وأركانه

يهدف هذا القسم إلى بيان :

١. أهمية الإيمان وغرس قيمته في النفوس باعتباره أساس العمل الصالح وأصل العبادة الخالصة لله.
٢. أن قضايا الإيمان توقيفية تستند على قاعدة الإيمان بالغيب.
٣. أن أركان الإيمان ستةٌ: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، لا يتم إيمان المسلم إلا بها.
٤. أن الإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوجوده وربوبيته وأسمائه وصفاته وعبادته.
٥. أن لأركان الإيمان معنى مجملا وآخر مفصّلا.
٦. أن لأركان الإيمان أدلة تثبتها، من الوحي والعقل والفطرة والحس.
٧. أن لأركان الإيمان ثمرات يكتسبها المسلم.
٨. أن للقرآن الكريم مزية على غيره من الكتب.
٩. أن الإسلام دين جميع الأنبياء.
١٠. أن للإيمان نواقض تقطعه وتزيله.
١١. أن الغلو في التكفير من المحرمات الشرعية التي تؤثر على المجتمع المسلم.

إلى مسائل الإيمان

مدخل إلى مسائل الإيمان

يهدف هذا المدخل إلى بيان :

١. أهمية قاعدة الإيمان بالغيب وقاعدة التسليم لله.
٢. أنّ أركان الإيمان الستة تقوم على الإيمان بالغيب وقاعدة التسليم لله تعالى.
٣. أنّ قضايا الاعتقاد الغيبية توقيفية لا مجال فيها للاجتهاد.
٤. أن الوقوف عند قضايا الغيب وعدم الخوض فيها من تمام التسليم لله تعالى.
٥. أنّ الإيمان لغة يعني التصديق والإقرار الجازم، والإقرار هو الإذعان والانقياد، فلا يكفي التصديق دون إقرار.
٦. أنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .
٧. أنّ أركان الإيمان ستة هي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.

أهمية الإيمان بالغيب

التصديق بالمعارف المشاهدة المحسوسة يستوي فيه المؤمن والكافر، والعالم والجاهل، والكبير والصغير.

ولكن التصديق بالمعارف الغيبية التي أخبر الله عنها أو أخبر عنها رسوله ﷺ فرقانٌ بين المؤمن والمنافق والكافر. لذلك وصف الله تعالى عباده المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب. قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣].

وأركان الإيمان الستة قائمة على الإيمان بالغيب، ومعنى ذلك أنها لا تُدرك بالرؤية المباشرة، وإنما يُدركها المؤمن بالدلائل النقلية والفطرية والعقلية[٢٩].

والإيمان بالغيب يُبنى على أصلين ثابتين:

١

أنْ يُسأل فيها عن دليل ثبوتها من الوحي، فإن الإيمان بالغيب لا بد له من دليل الوحي، ومتى ما ثبت الدليل الصحيح وجب اعتقاده اعتقادا جازما، والإذعان له.

٢

-أنْ لا يُسأل فيها بـ(لماذا) قال الله تعالى:

(لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ) [الأنبياء:23].

-أن لا يُسأل فيها عن الكيفية؛ لأن الإغراق في السؤال عن الكيف في قضايا الغيب يجرّ إلى التحريف أو التعطيل كما وقع من الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في هذا الباب الكبير.

(٢٩) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ٢/ ٤٠٢.

ويتعلّق هذان الأصلان بقاعدة التسليم لله؛ لأن قضايا الاعتقاد الغيبية توقيفية، لا مجال للاجتهاد فيها، والأصل فيها استجابة المؤمن التلقائية لأمر الله ونهيه، وتصديقه التلقائي لخبر الله، بحيث تتوجه حركاته وسكناته حسبما يوجهها الله تعالى، ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[الأحزاب:٢٢].

والمسائل التشكيكية والجدلية حول قضايا الغيب وأصول الاعتقاد تثار حين تغيب قاعدة التسليم لله؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

بل إن حياة الإنسان كلها لا تخرج عن معنى التسليم لله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأنعام:١٦٢]؛ فالتسليم لا يتعلق بمجرد علاقة تعبدية آلية، وإنما يتضمن خضوع القلب وانقياده لله، فيجري مجراه خضوع الجوارح واستجابتها لله، وبذلك تتعلّق حياة المؤمن كلها بالله، وهذا من تمام التسليم.

والتسليم عمل قلبي، والقلب هو أكثر أعضاء الإنسان استجابة وحركة، وأعمال القلوب هي المداخل التي تحرّكه وتبعث بواعث التسليم واليقين فيه.

وتلاوة آيات الله تعالى تزيد من التسليم في قلب المؤمن؛ لأن آيات الله جمعت بين ترقيق القلوب وإعمال العقول، وفيها من التوجيهات الإيمانية، والبراهين الربانية ما يعين الإنسان على سلوك الصراط المستقيم.

معنى الإيمان

الإيمان لغة: مشتق من الأصل الثلاثي أَ مَ نَ، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف[٣٠].

وإذا عُدّيَ الإيمان باللام فهو بمعنى: التصديق مع الطمأنينة والأمان، ومنه قول الله

(٣٠) ينظر: المفردات، للراغب الأصفهاني، ص٣٥، والصحاح، للجوهري، ٥/٢٠٧١.

تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾[يوسف:١٧].

ولفظ الإيمان لا يستعمل إلا في خبرٍ عن شيءٍ غائب يؤتمن عليه المخبر، فلم يوجد في كلام العرب أن من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس وغربت، أنه يقال: آمنا له. ولهذا قال: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾[العنكبوت:٢٦]، ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾[المؤمنون:٤٧]، ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾ [طه:٧١]، ﴿وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:٦١] والمراد: التصديق فيما أخبروا به مما غاب عنهم، وهم مأمونون عندهم على ذلك، فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة، كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق. ولهذا قالوا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾[يوسف:١٧] أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم.[٣١]

وإذا عُدّيَ الإيمانُ بالباء فهو بمعنى: الإقرار، والإقرار هو تصديقٌ معه إذعان، وبيانه أن الإنسان قد يصدّق بشيء ولكنه يأبى الإقرار به. فإذا أقر به فقد آمن به. ولذلك فإن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب كلفظ التصديق؛ بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر، والكفر لا يختص بالتكذيب؛ بل قد يكون تكذيباً وقد يكون إباءً[٣٢].

ومن الشواهد القرآنية التي جمعت المعنيين قوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:٦١].

والإيمان اصطلاحاً عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية[٣٣].

فالإيمان اعتقاد، وقول، وعمل، وهو مركب من هذه الأمور الثلاثة، كما أنه يزيد وينقص بحسب الفعل أو الترك.

---

(٣١) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ٢٩١.

(٣٢) ينظر: الإيمان، لابن تيمية، ١/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٣٣) ينظر: شرح السنة، للبغوي، ١/ ٣٨-٣٩، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ٢/ ٤٥٩.

فيزداد الإيمان بالعمل الصالح المنعقد بالنية الخالصة والمتجرّد عن حظوظ النفس والهوى، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢] .

وينقص الإيمان بالعمل الفاسد المعلَّق بالهوى والمتجرد عن مراقبة الله تعالى، سواء أكان هذا في باب العبادات القلبية والسلوكية أم في باب المعاملات، وفي الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾ [المطففين:١٤])[٣٤].

أركان الإيمان

يتضمّن الإيمان الأصول التي تُبنى عليها العقيدة الصحيحة، وهي: أركان الإيمان الستة، وقد جاءت في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسول الله ﷺ .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧].

وقول النبي ﷺ عندما سأله جبريل عليه السلام، فأجاب: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٣٥].

(٣٤) أخرجه الترمذي (٣٣٣٤)، وقال حسن صحيح.
(٣٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٠)، وصحيح مسلم رقم(٨).

خلاصة المدخل

١-الإيمان بالغيب لا بد فيه من دليل الوحي ومتى ما ثبت الدليل وجب الاعتقاد والعمل.

٢-الله تعالى الخالق وله مطلق الفعل والتدبير وتصريف الكون والكائنات ،ولا يُسأل لماذا يفعل كما تُسأل المخلوقات.

٣-السؤال عن الكيف في القضايا الغيبية يجر للانحراف عن المنهج الصحيح في التصوّر والعبادة .

٤-السؤال عن الكيف في القضايا الغيبية يناقض قاعدة التسليم التي يقوم عليها بنيان الإيمان بالله تعالى .

أنشطة المدخل

١. ما هي أهمية التسليم لله تعالى وأثرها على الاستقامة والسلوك ؟

٢. اذكر نماذج لمقولات دارجة منتشرة على ألسن بعض الناس وهي مخالفة لقاعدة التسليم لله تعالى؟

٣. ما الآثار التي يولّدها الإعراض عن الله وترك التسليم له ؟

٤. ما الفرق بين الأسئلة الاعتراضية التي تهدف للجدل، والأسئلة التعلُّمية التي تهدف للاستفادة؟ مع تطبيقها على الآيات التالية من سورة البقرة:

قال الله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا﴾[البقرة:٢٧٥]

قال الله تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير﴾ [البقرة:٢١٩]

قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [البقرة:٦٧-٧١]

قال الله تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾[البقرة:٢١٩]

الإيمان والعبادة

١

الثقافة الإسلامية

الوحدة الأولى

الإيمان بالله

الوحدة الأولى : الإيمان بالله

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوجوده وربوبيته وأسمائه وصفاته وعبادته.
٢. أنّ الإيمان بوجود الله وربوبيته أمر فطري مستقر في النفوس، وله أدلته الفطرية الحسية والعقلية.
٣. أنّ الله تعالى يسمع ويرى وهو يجيب دعوة المضطرين ويكشف الضر عن المكروبين وينزل الفرَج على من ركن إليه، وهباته وعطاياه لا تنقطع عن السائلين، وهذا من أهم الأدلة التي نعيشها في واقعنا المحسوس والمشاهد، والتي تدلنا على الله.
٤. أنّ ارتباط السبب بالمسبب قاعدة عقلية فطرية مطّردة ينطلق منها العقل في إثبات وجود الله وربوبيته سبحانه، لأن لكل سبب في الوجود مسبّبا له.
٥. أنّ إحكام صنع الكون وإتقانه أمر معلوم بالمشاهدة وهو دليل عقلي يدل على خالق موجود عليم حكيم متقن هو الأعلى والأكبر والأحكم .
٦. أنّ تخصيص هيئات وطبائع منتظمة في الكون ووجود قوانين ثابتة لها لا تتخلف، وصور منتظمة لا اضطراب معها ولا اختلال، دليل عقلي لخالق مقدّر لها .
٧. أن هداية المخلوقات لما خلقت له دليل عقلي لوجود الخالق الذي هداها .
٨. أنّ الإيمان بأسماء الله وصفاته يبنى على قواعد ستة لا يستقيم الإيمان إلا بها كلها.
٩. أنّ توحيد العبادة متضمن للربوبية ، وربوبية الله مستلزمة لتوحيد العبادة.
١٠. أنّ ربوبية الله سبحانه وتعالى تستلزم توحيد العبادة من خلال عدد من الوجوه العقلية؛ فهو الخالق والنافع والضار، وغيره لا يملك خلقا ولا تدبيرا ولا نفعا ولا ضرا.
١١. أنّ لركن الإيمان بالله ثمرات يجدها المؤمن في نفسه وهي تظهر فيه بحسب قيامه بهذا الركن ،كما أنّ الناس يتفاوتون فيها بحسب إيمانهم واجتهادهم.

منزلة الإيمان بالله

الإيمان بالله تعالى فطرة أساسية فُطر عليها الإنسان، فهو محتاج لله في كل أمره، كحاجته إلى ما يحفظ ذاته من الغذاء والدواء، وإلى ما يحفظ نوعه من الزوجة والولد.

والإيمان بالله تعالى هو أول أركان الإيمان، وهو رأس كل فلاح، وأسُّ كل نجاح، وما أنزلت الكتب، ولا أرسلت الرسل إلا لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما قال ربعي بن عامر في جوابه عن سؤال رستم الذي قال له: ما الذي جاء بكم؟ فقال له ربعي بن عامر قوله المشهور: (جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد)[٣٦].

صفة الإيمان بالله إجمالاً

الإيمان الإجمالي بالله تعالى يتضمّن ثلاث قضايا جوهرية هي:

- **أولاً** التصديق والإقرار الجازم بوجود الله وربوبيته
- **ثانيًا** التصديق والإقرار الجازم بأسماء الله وصفاته
- **ثالثًا** التصديق والإقرار الجازم باستحقاق الله وحده للعبادة

والخروج عن واحد من هذه المُحَدِّدات الثلاثة للإيمان بالله تعالى يعني الخروج من الإيمان بالله إلى الكفر به سبحانه وتعالى.

(٣٦) ينظر: تاريخ الطبري، ٣/ ٥١٨.

ومن أمثلة الكفر بالله:

١- الكفر بوجود الله تعالى، قال الله تعالى عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص:٣٨].

٢- عدم الانقياد والإذعان لله تعالى، ولو كان مصدقاً بوجود الله وربوبيته وأسمائه وصفاته، وهذا كفر إبليس، فإنه مصدّقٌ بالله عارفٌ بربوبيته، ولكنه أبى الانقياد والإذعان له. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]، وقال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء:١٠٢].

٣- الكفر بأسماء الله وصفاته، ولو كان مصدقاً بوجود الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان:٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة:٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة:٣٠].

٤- الإشراك بالله تعالى في العبادة، ولو كان مصدقاً بوجود الله وربوبيته، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون:١١٧].

صفة الإيمان بالله تفصيلاً

الإيمان التفصيلي بالله تعالى يتضمّن ثلاث قضايا جوهرية هي:

الإيمان بوجود الله وربوبيته

الإيمان بوجود الله وربوبيته يعني: التصديق والإقرار الجازم بوجوده سبحانه وأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، فله الخلق والملك والرزق والتدبير والأمر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وأمْرُ الرب ﷻ شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون فهو كذلك الحاكم فيه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته تعالى:

أولا- دليل الفطرة:

معرفة الله والإيمان به والتوجه إليه من المعارف الفطرية التي خلق الله الإنسان عليها،[٣٧] قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، وقال رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)[٣٨]، وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: (خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[٣٩].

والكفر بوجود الله سبحانه أو بربوبيته فهو قرار شاقٌّ يتخذه الإنسان، ليعاند به نفسه

---

(٣٧) ينظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٨/٣٦٦-٣٧٩.

(٣٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١٣٥٨)، وصحيح مسلم رقم(٢٦٥٨).

(٣٩) صحيح مسلم رقم(٢٨٦٥).

والكون الذي حوله، ويكفر بالحقائق المحيطة به الدالة كلها على الله تعالى. وجحود الفطرة والإعراض عنها يدفع صاحبه -مع كثرة الشبهات وما يخالطها من الهوى والكبر- لترك الخضوع والانقياد لله ولاتّباع هوى النفس ورغباتها. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾[غافر:٥٦].

والبقاء على الفطرة النقية يبعث الطمأنينة والراحة واليقين وانشراح الصدر، وقد استشعر هذا الصحابة والسلف وعبّروا عنه، قال ابن عمر ﷺ: (ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحا بأن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء)[٤٠]، وقال أبو العالية: (ما أدري أي النعمتين عليّ أعظم: إذ أخرجني من الشرك إلى الإسلام أو عصمني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى)[٤١].

ومن أوجه الاستدلال بالمعارف الفطرية على ربوبية الله كذلك:

إن أي معنى مستقر في البشرية صغيرهم وكبيرهم يعتبر من المظاهر الفطرية، التي تدل على أن خالقاً قد خلقه وفطره على هذه المعاني، لذا فإن الفكر المادي الملحد يعجز عن تفسير مظاهر الفطرة التي استقر عليها الصغير والكبير.

ومن مظاهر الفطرة التي خُلق عليها الإنسان:

١- **فطرة الإنسان على معرفة الخير والتوجه إليه:** وفطرة الإنسان على معرفة الشر والإعراض عنه. فالإنسان بفطرته يحب الأخلاق الحميدة ويبغض الأخلاق الرذيلة، ويحب العدل ويستحسنه، ويبغض الظلم ويستقبحه، ويحب الصدق ويستحسنه، ويبغض الكذب ويستقبحه.

وأما الفكر المادي الملحد فإنه يُنكر وجود فطرة في الإنسان تميز بين الخير والشر، فالإنسان عندهم آلة لا تميز بين نكاح الرجل بامرأة أجنبية أو بأمه أو أخته أو ابنته! فكلها مجرد حركة ميكانيكية آلية عندهم، بل لا فرق بين نكاح الرجل لامرأة أو نكاحه لبهيمة.[٤٢]

---

(٤٠) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٤/ ١١٩.

(٤١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ١/ ١٤٧.

(٤٢) لهذا فإن زعماء الإلحاد يقفون حائرين أمام فطرية معرفة الخير والشر، وفطرية محاسن الأخلاق ورذائلها، ويحاولون جاهدين أن ينكروا وصف أي فعل بأنه خير أو شر، لأنه سيكون دليلا على الفطرة التي فطر الله الناس عليها! ومن ذلك قول زعيم الإلحاد الفلسفي ج.ل.ماكي: «قبول القيم الأخلاقية الموضوعية يوفّر أساساً للإقرار أن الإله قد صنعها».

٢- **رحمة الأم بوليدها:** فالأم بفطرتها ترحم وليدها، وتعتني به، وتسهر لأجله، وترحمه.

وأما الفكر المادّي الملحد فإنه ينكر وجود فطرة في الأم ترحم بها وليدها، إذ الأم عندهم تقوم بمجرد حركة ميكانيكية آلية خاضعة لضغوط جينٍ يسمى عندهم الجين الأناني، والجين الأناني في نظرية الإلحاد هو الجين المسؤول عن استبقاء العنصر البشري، فما ثَمَّ حب حقيقي يعتلج بقلب الأم، بل هي الأنانية التي تعصف بجيناتها رغبةً في استبقاء وجود الجيل البشري.

ثانياً- دليل الحس:

وذلك بما نسمعه ونشاهده من إجابة المضطرين في دعواتهم؛ ومنه إجابة دعوات الأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩﴾ [الأنبياء:٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ [الأنبياء:٧٦]، وقال الله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء:٨٣].

وكذلك غوث المكروبين فقد (أصاب الناس قحط وجدب على عهد رسول الله ﷺ، فقام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة، فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رؤي المطر يتحادر على لحيته)[٤٣].

وإجابة الداعين ليست خاصة بالأنبياء؛ بل ما زالت أمرا مشاهدا محسوسا يشعر به من دعا الله سبحانه وتعالى بإلحاح وتضرع، ما لم يلابس موانع إجابة الدعاء،[٤٤] قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال النبي ﷺ: (رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره)[٤٥]، وأخبر النبي ﷺ أن الله ينزل إلى

(The Miracle of Theism, By J. L. Mackie, (p118).

(٤٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٩٣٣ و١٠٣٣)، وصحيح مسلم رقم(٨٩٧).

(٤٤) من موانع إجابة الدعاء ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: (ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!). صحيح مسلم رقم(١٠١٥).

(٤٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٤٩١٨)، وصحيح مسلم واللفظ له رقم(٢٦٢٢).

السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[٤٦].

ثالثاً- أدلة العقل:

١- دليل الخلق والإيجاد:

وجد الإنسان نفسه على هذه الأرض، وتساءل عمن أوجد هذه الأرض الكبيرة؟ وهذه السماوات العظيمة؟ وأوجد الإنسان؟ لقد ولد من والدين، وهما كذلك من والدين، ولكنه تساءل من الذي أوجد الوالِدين الأولين؟ ومن الذي أوجد النبات الأول؟ ومن الذي أوجد الحيوانات الموجودة الأولى؟.

وإنّ بحثَ الإنسان عن الفاعل وراء فعل من الأفعال بحثٌ عقلي وفطري لا يُتصور خلافه؛ فلا يمكن لبشر أن يتصور حدوثَ شيءٍ دون وجود محدِث له؛ فلو كان ثمّة كوب مملوء من الماء، ثم أصبح فارغا، لم يقبل العقل البشري إلا أن يكون هناك سببٌ لهذا، فربما كان أحدٌ قد شربه، أو آخر قد سكبه، أو تبخّر بفعل الحرارة، أو حصل له شيءٌ ما.

وهذه القاعدة العقلية العامة (الارتباط بين السبب والمسبب) هي التي استخدمتها البشرية في اكتشاف أسباب الأمراض، وأسباب العلاج، وأسباب الفقر، وأسباب الغنى، وأسباب البطالة، وأسباب النهضة، وأسباب الغلاء، وأسباب الرخص، وأسباب الطلاق، وغيرها من العلاقات التي لا تنتهي في دراساتنا المعاصرة.

لقد أدرك الإنسان -بعقله- أنه (١) لا يمكن أن يكون هذا الكون العظيم قد وُجد بدون خالق، وكذلك أدرك أنه (٢) لا يمكن أن تكون هذه المخلوقات قد خلقت نفسها، وكذلك أدركَ أنه (٣) لا يمكن أن يكون هذا المخلوقُ مخلوقاً من مخلوقٍ غيره، إذ لن تنتهي حينئذٍ هذه السلسلة، فلم يبق إلا أن ينتهي الأمر عند خالقٍ مؤثرٍ أولٍ، هو خالقٌ غير مخلوق، مؤثرٌ غير متأثر، مخالفٌ لمخلوقاته في وجوده وفي ذاته وفي أسمائه وصفاته، وهو الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[٤٧].

(٤٦) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١١٤٥)، وصحيح مسلم رقم(٧٥٨).
(٤٧) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٦/٤٤٥.

وهذا المعنى هو المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الطور:٣٥].

وذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار لبيان أن هذه القضيةَ فطريةٌ بديهيةٌ مستقرة في النفوس، لا يمكن لأحد إنكارها[٤٨].

فهذا أمر مركوز في بني آدم، حتى الصبيان! فلو ضُرب الصبي ضربة، فقال: من ضربني؟ فقيل له: ما ضربك أحد! لم يصدق عقله أن الضربة حدثت من غير فاعل![٤٩]

وإقرار الخلق والإيجاد لله تعالى أمر مستقر في النفوس: "وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن؛ كما قال له موسى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[النمل: ١٤]"[٥٠].

ولقد حاول النمرود قديمًا أن يصف نفسه بأنه الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون، وناظره نبي الله إبراهيم عليه السلام في دقيقة عاجلة.. لا تستحق دعوى النمرود أكثر من ذلك! ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة:٢٥٨].

كما حاولت نظرية التطور الداروينية أن تقدّم تفسيرا لنشأة الإنسان بعيدا عن خلق الإله سبحانه، ولكنها أغفلت جوانب عديدة مهمة فاستحقت الإهمال؛ منها: أنها جعلت الإنسان قرداً؛ واختزلت تفسير الإنسان بأنه قردٌ؛ لأنه (يُشبه) القرد في بعض النواحي العضوية الميكانيكية المادية، ومع بطلان هذه النظرية إلا أن السؤال يبقى قائما لهذه النظرية من الذي أوجد هذا القرد؟! ومن الذي أوجد الخلية الأولى؟!

(٤٨) ينظر: النبوات، لابن تيمية، ٣١٢/١.

(٤٩) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، لابن تيمية، ٢٠٣/٣.

(٥٠) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٣٨/٨.

وكذلك حاول بعض الملحدين استخدام نظرية الانفجار العظيم[٥١] لنفي وجود الخالق سبحانه، وهذه النظرية لا تقرر نفي الخالق ﷻ؛ بل هي تبين كيفية تطور المجرات والكواكب واتساع الكون. والله ﷻ هو الذي أوجد أصل الكون من العدم، سواء حصل فيه الانفجار العظيم أم لم يحصل، ولا تزال هذه النظرية في طور المناقشة للإثبات أو النفي.

٢- دليل الإحكام والإتقان:

هذا الدليل يعني أن كل ما في المخلوقات من إحكام وإتقان يدل على وجود الخالق سبحانه وتعالى، من خلال مقدمتين ضروريتين:

المقدمة الأولى: ما نشاهده من الأشياء محكمة الصنع، متقنة النظام، متناسقة الوظائف، متراتبة الحركات، وهذا الإحكام والإتقان معلوم بالحس والمشاهدة.

المقدمة الثانية: أنّ هذا الإتقان والإحكام لا يمكن أن يكون صدفةً، ولا لأمر يعود إلى طبيعة المخلوقات، فلم يبق إلا أن تكون مقتضى إتقان الخبير القدير سبحانه وتعالى.

وهذا الاستدلال هو مفهوم قول الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾[السجدة: ٧].

وكلما تعرفنا على شيء من إحكام خلق الإنسان قادنا هذا إلى الإيمان بالخالق الموجد، واشتدت ضرورتنا للإيمان به؛ فالدماغ البشري -مثلا- يوجد ضمن الجمجمة، وهو العضو الذي يتحكم في الجهاز العصبي المركزي للإنسان، وهو عمليًا المنظم لجميع أفعال الإنسان تقريبًا، سواء كانت أفعالا لا إرادية مثل نبضات القلب، التنفس، والهضم، أو أفعالا إرادية مثل التفكير والاستنتاج.

وتتكشف للدماغ في الوقت الحاضر إمكانيات جديدة كل يوم؛ فوزن الدماغ حوالي (١,٤ كيلوغرام)، وهو مع ذلك واحدٌ من أكبر أجهزة الجسم، يتألف من خلايا عصبية يبلغ عددها نحو (١٠٠) مليار خلية، متصلة ببعضها البعض، عن طريق نحو (١٠٠,٠٠٠)

(٥١) نظرية الانفجار العظيم تقوم على أن الكون كان في الماضي في حالة حرارة شديدة الكثافة فتمدد، وأن الكون كان يومًا جزءا واحدا عند نشأته ثم انفجر، وأنه لا يزال يتمدد. ينظر: الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة من العلماء والباحثين، ٢٠/٣١٥، مصطلح: (الكونيات) بند التعريف بنظرية الانفجار العظيم.

مليار تشابك عصبي[٥٢].

وأما الأعصاب -مثلا آخر- فيكفي الإنسان أن يعلم أن الطول الكلي للمسارات العصبية في الإنسان البالغ نحو (٥,٨) مليون كيلومتر، وهي مسافة تعادل محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء نحو (١٤٥) مرة[٥٣].

وأما القلب -مثلا آخر أعجب وأعجب- فهو يضخ ما يقرب من (٧,٢٠٠) لتر يومياً، فكيف إذا علمنا بكيفية خلق الأعضاء الأخرى كالكلى والعين والأذن والفم والمعدة وغيرها؟ وهل يمكن لقائل أن يقول إن هذا الإحكام والإتقان كان صدفةً؟

بل كيف إذا علمنا أوجه الإحكام والإتقان في خلق هذه الحيوانات المختلفة والنباتات المتنوعة والجبال الشاهقة والطيور المحلّقة وغيرها، كلها تسير في خلق عجيب، وإحكام دقيق، يعجز الإنسان عن تصوره وفهمه فضلا عن إيجاده وخلقه[٥٤].

وقد عبّر أحد علماء الفيزياء عن ظاهرة الضبط الدقيق في الكون فقال: "إن ظاهرة الحياة في هذا الكون متوازنة على حد السكّين؛ فإنك لو غيّرت من طبائع المقادير والقوانين في أقل القليل سينهار الكون أو تفسد الحياة"[٥٥].

ثم عاد عالم الفيزياء بول ديفيس ليعبّر بصورة أدق عن هذا الإحكام والإتقان في الكون ويُؤكد بأنّ وصف الحياة المتوازنة على حد السكّين يبدو مغرقا في السطحية!؛ إذ لا يوجد سكّين في الكون يبلغ هذا الحد من الدقّة[٥٦].

٣- دليل التقدير:

خلق الله تعالى كل شيء بمقدار وميزان وترتيب يتلاءم مع مكانه وزمانه، ويتناسق

---

(٥٢) ينظر: الموسوعة العربية العالمية، لمجموعة من العلماء والباحثين، ١٠/٣٦٦-٣٧٩، مصطلح (الدماغ).

(٥٣) ينظر: المرجع السابق، ٨/٥٤٦-٥٥١، مصطلح (الجهاز العصبي).

(٥٤) ينظر: المرجع السابق، ١٨/٢٦٩-٢٨٧، مصطلح (القلب).

(٥٥) ينظر:
Rare Earth: Why Complex Life is Uncommom in the Universe, By Peter D. Ward and Donald Brownlee, (p28). And: Goldocks Engima:Why Is the Universe Just Right for Life?, By Paul Davies, (p170).

(٥٦) ينظر: المرجع السابق.

مع غيره، وفق توازن شامل، وتكامل عجيب، وقدّر لكل شيء هيئة مخصوصة يتحقق فيها الانتظام وينتفي الاضطراب والتناقض، فتقدير الله للمخلوقات يقتضي أن تنتظم أمورها وفق سببية مطردة وقوانين محكمة لا تتخلف إلا بإرادة الله تعالى، كما في المعجزات الخارقة للسنن، وأما الأصل في المخلوقات فهو جريانها على تقدير الله تعالى وتسويته لها، يقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾[الفرقان:٢]، ومما جاء في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨﴾[الرعد:٨]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾[يس:٣٨-٤٠].

فالتقدير والتسوية المنتظمة المطردة للموجودات لا يمكن أن يكون من طبائع الأشياء في ذاتها دون وجود خالق مقدّر لها. قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٦٧ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝٧٠﴾[الواقعة:٦٣-٧٠]، فتخصيص الماء النازل من السماء بكونه عذبا له حكمة، وتخصيص الماء الموجود بالبحر بكونه مالحا له حكمة، وجعل العينين في أعلى البدن له حكمة، ولو جعلت العينين في القدمين لفسدت مصلحة النظر والمشي وغاب حسنهما[٥٧].

٤- دليل الهداية:

هدى الله تعالى جميع المخلوقات لما خُلقت له من غايات، وهذه الهداية لا تختص بالمخلوقات التي لها إرادة كالإنسان، وإنما هي عامة لكل مخلوق.

وهذا الدليل قد استدل به موسى عليه السلام في محاورته لفرعون، فقال: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾[طه:٥٠]؛ فإعطاء الخلق: إيجادهم في الخارج، وهدايتهم: دلالتهم إلى سبيل بقائهم.

وهذا الدليل أيضا هو معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٤﴾[الأعلى:٢-٣]؛ فالتسوية بمعنى الخلق على أحسن تصوير، والهداية بمعنى التقدير على أكمل وجه.

(٥٧) ينظر: النبوات، لابن تيمية، ٢/٩٢٣.

الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى

الإيمان بأسماء الله وصفاته يعني: التصديق والإقرار الجازم بما أثبته الله لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، دون تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

أدلة الإيمان بأسماء الله وصفاته :

الإيمان بأسماء الله وصفاته يبنى على قواعد هي:

أولاً: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

ودليل هذه القاعدة: أن الله ﷻ هو الأعلم بذاته وصفاته، وأن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق بالله، لذا يجب على العبد إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ.

ومثال ذلك: إثبات اسم السميع البصير ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشورى:١١]، ونفي الظلم عن الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء:٤٠]

ثانيًا: إثبات أن أسماء الله ﷻ تتضمن الصفات؛ وأنّ لكل اسم صفة تدل عليه.

ودليل هذه القاعدة: أنّ الله ﷻ وصف أسماءه بأنها حسنى، ووصف أسماء الله بالحسنى، وأمره لعباده أن يدعوه بها: يستلزم إثبات الصفة التي تضمنها الاسم. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

وإفراغ الأسماء عن دلالتها على الصفة التي تضمنتها: يجعلها أسماء مجردة لا أسماء حسنى، كما أن إفراغ دلالة الاسم على الصفة يمنع التعبد لله تعالى بمقتضى معاني هذه الأسماء الحسنى.

ثالثًا: إثبات الأسماء لله تعالى وما تضمّنته من صفات على الوجه اللائق به.

ودليل هذه القاعدة: أن الله ﷻ له المثل الأعلى، وهذا يستلزم إثبات كل صفة متضمنة في كل اسم من أسماء الله على الوجه اللائق به سبحانه وهو أعلى وأكمل الوجوه.

قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[النحل:٦٠]. والمراد بالمثل الأعلى: الوصف الأعلى والأكمل والأفضل.

رابعًا: إثبات الأسماء لله وما تضمنته من صفات من غير تحريف ولا تعطيل لها.

ودليل هذه القاعدة: أنّ الله ﷻ قد نهى عن الإلحاد في أسمائه، والإلحاد فيها هو تعطيلها وتحريفها، وهذا يستلزم إثبات أسمائه دون تحريف ولا تعطيل. قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

خامسًا: إثبات الأسماء لله تعالى وما تضمنته من صفات من غير تكييف لها.

ودليل هذه القاعدة: أنّ الله ﷻ قد تنزه عن أن يحيط به أحد علما، وهذا يستلزم إثبات كل صفة دون تكييف. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾[طه:١١٠].

سادساً: إثبات الأسماء لله تعالى وما تضمنته من صفات من غير تمثيل لها.

ودليل هذه القاعدة: أنّ الله ﷻ قد تنزه عن المثل والنظير، وهذا يستلزم إثبات كل صفة دون تشبيه ولا تمثيل بشيء من خلقه. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[الإخلاص:٤]، وقال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ ﴾[الشورى:١١].

الإيمان بتوحيد العبادة وأدلته

توحيد العبادة هو إفراد الله ﷻ بجميع العبادات بأنواعها، وأن لا يشرك العبد مع ربه أحدا.

أدلة الإيمان بتوحيد العبادة:

أولا- إثبات الربوبية يستلزم توحيد العبادة:

إذا عرف العبد بأن الله تعالى هو الخالق المدبر الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وعرف أن غيره لو اجتمعوا على أن يخلقوا ذبابة ما قدروا على شيء! فإن قلبه يتجه إلى خالقه وربه سبحانه، معرضا عن عبادة كل ما عداه، لأن الله وحده هو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير فكان عندئذ هو المتفرد باستحقاق العبادة سبحانه.

وقد جاء هذا الاستدلال في عدد من آيات القرآن الكريم، ومنها:

١- قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[الأنعام:١٦٤]. وهذا استفهام إنكاري أن يُتخذ غير الله ربا، لأنه سبحانه رب كل شيء.

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾[يونس:٣].

٣- قال الله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥ ﴾[مريم:٦٥].

وممن استدل بهذا الدليل قبل نبينا محمد: نبي الله إبراهيم، عليهما جميعا أفضل الصلاة والتسليم؛ حيث قال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١﴾[الشعراء٧٥-٨١].

ومنهم كذلك صاحب ياسين، الذي قال: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾[يس:٢٢].

ومنهم كذلك نبي الله صالح عليه السلام الذي قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۝٦١﴾ [هود:٦١].

ثانيًا- كمال الله تعالى يستلزم توحيد العبادة:

وخلاصة هذا الاستدلال أن العبد إذا عرف أن الله سبحانه هو المتصف بصفات الكمال والجلال والجمال اقتضى هذا أن يعبده وحده لا شريك له.

وقد جاء هذا الاستدلال في عدد من آيات القرآن الكريم، ومنها:

١- قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥-٢٥٦]. وآية الكرسي بين الله فيها صفات جلاله وكماله، ثم أعقبها بقوله سبحانه: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾[البقرة:٢٥٦] وهذا هو معنى توحيد العبادة.

٢- قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[غافر:٦٥]. فقد رتب الأمر بالدعاء في هذه الآية على اسمه الحي المتضمن وصفه سبحانه بالحياة، ووصف الحياة من أوصاف كماله وجلاله سبحانه.

ثالثًا- تجرد الشركاء من صفات الربوبية يستلزم توحيد الله بالعبادة:

وخلاصة هذا الاستدلال أن العبد إذا عرف أن الشركاء من دون الله متجردون عن صفات الربوبية التي هي الخلق والرزق والإحياء والإماتة، فإنه لا يصرف لهم حينئذ من العبادة شيئًا؛ لأن المتجرد عن صفات الربوبية لا يستحق أن يُعبد، فيبقى أن المستحق للعبادة هو الله وحده.

وقد جاء هذا الاستدلال في عدد من آيات القرآن الكريم، ومنها:

١- قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الفرقان:٣].

٢- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ ﴾[الحج:٧٣].

٣- قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل:١٧].

٤- قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾[لقمان:١١]. وهذا أدلّ شيء على بطلان كل آلهة تعبد من دون الله، فإنهم إن زعموا أن آلهتهم قد خلقت شيئًا طولبوا بإظهاره، وإن لم يظهروه كانت باطلا!

٥- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[العنكبوت:١٧].

رابعًا- وصف الشركاء بالنقص يستلزم توحيد الله بالعبادة:

وخلاصة هذا الاستدلال أن العبد إذا عرف أن ما سوى الله تعالى متصفٌ بالنقص والقصور والفناء والفقر، فإنه لا يصرف له حينئذ من العبادة شيئًا؛ لأن الناقص بطبيعة

الحال لا يستحق أن يُعبد، فيبقى أن المستحق للعبادة هو الله وحده.

وقد جاء هذا الاستدلال في عدد من آيات القرآن الكريم، ومنها:

١- قال الله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤].

٢- وممن استدل بهذا الدليل نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم:٤٢]، وقال أيضا: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الصافات:٩٢].

٣- قال الله تعالى مبطلا عبادة المسيح عليه السلام: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة:٧٥]. فهذه الآية أبطلت عبادة المسيح من جهة حاجته للطعام والشراب، وكذلك من جهة أخرى وهي أن من احتاج للطعام فإنه سيحتاج إلى إخراجه.

ثمرات الإيمان بالله

للإيمان بالله ثمرات جليلة، وفوائد جمة، وفضائل كثيرة منها:

- **دخول الجنة والنجاة من النار:** وهي المآل المتحقق للمؤمن في الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [محمد:١٢].

- **تحقق الأمن التام والاهتداء التام، قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

- **الاستخلاف في الأرض والتمكين والعزة، قال تعالى:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥].

- **تحقق الحياة الطيبة، قال تعالى:** ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

- **حلول الخير ونزول البركة، قال تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

- **الهداية لكل خير، قال تعالى:** ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، **وقال:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس:٩].

- **زيادة الإيمان والثبات عليه، قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

- **الفوز بولاية الله، قال تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد:١١].

- **معيّة الله تعالى والدفاع عن أهل الإيمان، قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

- **الرفعة والعلو، قال تعالى** ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

خلاصة الوحدة

١- ركن الإيمان بالله هو أصل الأصول وأول قضايا الاعتقاد التي تبنى من خلالها بقية الأركان.

٢- إنزال الكتب وإرسال الرسل جاء لتحقيق مقتضى ركن الإيمان بالله.

أنشطة الوحدة

١- أتقن الله تعالى خلق المخلوقات وهداها لما خلقت له، والأمثلة في هذا كثيرة، تحدث عن عظمة خلق الله مستدلا بمثال لأحد مخلوقاته في الكون؟

٢- هل دعوت الله تعالى بيقين وتحقق لك الدعاء ؟ تحدث عن قصتك أو قصة حدثت لقريب أو صديق لك في سطور لنستفيد منها.

٣- لماذا كان إبليس كافرا مع أنه مصدق بوجود الله بل إنه خاطب الله بقوله (أنظرني إلى يوم يبعثون)؟

٤- ما هي الأسباب التي جعلت بعض الناس لا يعبد الله أو يشرك مع الله مع علمهم وتصديقهم بأن الله هو الخالق؟ مع بيان نماذج لهذا؟

الإيمان والعبادة

١

الثقافة الإسلامية

الوحدة الثانية

الإيمان بالملائكة

الوحدة الثانية: الإيمان بالملائكة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الإيمان بالملائكة من الإيمان بالغيب.
٢. أنّ الملائكة مخلوقون من نور، ويتّسمون بعظم الخلق وضخامة الجسم، ولهم أجنحة، وهم قادرون على التشكّل.
٣. أنّ الملائكة مفطورون على العبادة منفّذون لأمر الله تعالى.
٤. أنّ أعداد الملائكة كبيرة لا يحصيهم إلا الله.
٥. أنّ أعظم الملائكة ثلاثة، هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل.
٦. أنّ أصناف الملائكة كثيرة، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم كتّاب أعمال بني آدم والحُفّاظ الملازمون لهم، ومنهم الموكلون بالنطفة في الرحم ونفخ الروح، ومنهم الموكلون بقبض الأرواح ومنهم الموكلون بسؤال الناس في قبورهم.
٧. أنّ من حقوق الملائكة على بني آدم الإيمان بهم والحياء منهم وتوقيرهم.
٨. أنّ الإيمان بالملائكة يثمر مراقبة الله تعالى ويورث الحياء من أن يُرى الإنسان في حال معصية وإثم .

منزلة الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة ركن عظيم، ومن أنكر وجودهم أو وجود بعضهم ممن ذكره الله ﷻ فقد كفر وخالف الكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء:١٣٦].

وقد أخبرنا الله تعالى بوجود الملائكة لأسباب، منها:

١- إذا عرف المسلم أن هنالك ملائكة يتعاقبون عليه في اليوم والليلة راقب الله، واستحى منهم، وإن الملائكة تستحي من المسلم كلما حرص على مراقبة الله تعالى وكلما ازداد تعفّفا وتورعا، كما قال ﷺ عن عثمان رضي الله عنه الذي عُرف بحيائه (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة)[٥٧].

وبعض الناس يحرص على ألا يُرى على معصية وذنب ظاهر، ويغفل حقيقة اطلاع الله عليه في ذنوب الخلوات التي يخلو بها مع نفسه ويتناسى أمر ملازمة الملائكة الذين هم أولى بالحياء، فإذا استحى منهم ازداد مراقبة لله تعالى وصيانة لنفسه من أنْ تنجرف في معصية أو رذيلة تسجّل في صحائف عمله.

٢- أن يعلم المسلِم أن تدبير الأشياء في هذه الدنيا عن طريقهم، فهم منفّذون لأمر الله تعالى، وقد وكّل الله الملائكةَ بتدبير أحوال الأرض وأمور الدنيا، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات:٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١].

صفة الإيمان بالملائكة إجمالاً

الإيمان الإجمالي بالملائكة يتضمن أموراً منها:

الأول: التصديق والإقرار الجازم بأن لله ملائكة خلقهم من نور مجبولين على طاعته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. قال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:١٩]، والملائكة هم

---

(٥٧) صحيح مسلم رقم(٢٤٠١).

عالم غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالى، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

الثاني: إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله، فهم عباد الله مأمورون، أكرمهم الله ورفع مقامهم وقربهم منه، وهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضراً من دون الله؛ ولذلك لا يجوز أن يصرف لهم شيء من أنواع العبادة، فضلاً عن أن يوصفوا بصفات الربوبية كما زعمت النصارى ذلك في روح القدس جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾[الأنبياء:٢٦-٢٧]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾[التحريم:٦].

صفة الإيمان بالملائكة تفصيلاً

الإيمان التفصيلي بالملائكة يتضمن أموراً منها:

أولاً- مادة خلق الملائكة:

خلق الله تعالى الملائكة من نور، كما خلق سبحانه الجن من النار، وخلق بني آدم من طين، وكان خلقهم قبل خلق آدم عليه السلام.

وقد جاء في الحديث: (خُلقتْ الملائكة من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وصف لكم)[٥٨].

ثانياً- عدد الملائكة:

الملائكة خلق لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل لكثرتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[المدثر:٣١]، وقال ﷺ: (أطّت السماء وحق لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد وراكع)[٥٩]، وقال ﷺ عن البيت المعمور: (يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه)[٦٠]، وقال ﷺ: (يؤتي بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك)[٦١].

---

(٥٨) صحيح مسلم رقم(٢٩٩٦).
(٥٩) سنن الترمذي رقم(٢٣١٢).
(٦٠) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٠٧)، وصحيح مسلم رقم(١٦٢).
(٦١) صحيح مسلم رقم(٢٨٤٢).

ثالثاً- أعظم الملائكة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانَ النبي ﷺ إذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٦٢].

رابعاً- صفات الملائكة:

الملائكة خلقٌ، لهم أجسام حقيقية متصفة بصفات خَلقية وخُلقية، فمن ذلك:

أ- عظم خلقهم وضخامة أجسامهم: خلق الله سبحانه وتعالى الملائكة على صور عظيمة قوية تليق بأعمالهم الجليلة التي وكلهم الله بها في السموات والأرض.

ب- لهم أجنحة: خلق الله سبحانه وتعالى للملائكة أجنحة مثنى وثلاث ورباع، وقد تزيد على ذلك، كما رأى رسول الله ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح وقد سد الأفق. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[فاطر:١].

ج- قدرتهم على التمثل بغير صورتهم الحقيقة: أعطى الله ملائكته قدرة على

---

(٦٢) صحيح مسلم رقم(٧٧٠).

التمثل بصورة البشر، ولا نعلم كيفية تمثلهم إلا أنهم يتمثلون بصورة دقيقة يصعب معها التفريق بينهم وبين البشر.

د- **عبادة الملائكة:** يعبد الملائكة الله سبحانه وتعالى بعبادات منها الصلاة، والدعاء والتسبيح، والركوع، والسجود، والخوف والخشية والمحبة، وغير ذلك.

وتمتاز عبادة الملائكة لله بصفات هي:

١- **المداومة والاستمرار ولزوم الطاعة من غير فتور عنها، قال تعالى:** ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء:٢٠].

٢ - **التواضع لله تعالى مع كثرة العبادة، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف:٢٠٦].

خامساً- أصناف الملائكة:

١- الملك الموكل بإنزال الوحي على الرسل، قال الله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير: ٢٤].

٢- حملة العرش، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧].

٣- خزنة الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ۝٧٣﴾ [الزمر:٧٣]، **وقال تعالى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر:٧١].

٤- الملك الموكل بالنفخ في الصور، قال النبي ﷺ: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ)[٦٣].

٥- الموكلون بالسحاب والقطر والنبات. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ [المرسلات:١-٢] قيل: هم الملائكة الموكلة بالسحب في أحد التفسيرين.

٦- الموكلون بكتابة أعمال بني آدم، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

(٦٣) سنن الترمذي رقم(٢٤٣١)، وقال: هذا حديث حسن.

عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق:١٨].

٧- الموكلون بحفظ بني آدم، فإذا قدر الله عليه أمراً تركوه فوقع ما قدر له. قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

٨- الموكلون بملازمة الإنسان ودعوته للخير، قال النبي ﷺ: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة)[٦٤].

٩- الموكلون بالنطفة في الرحم، ونفخ الروح في الإنسان وكتابة رزقه وعمله وشقي أو سعيد، قال النبي ﷺ: (ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)[٦٥].

١٠- الموكلون بقبض أرواح بني آدم عند الموت، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ [النازعات:١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال:٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام:٩٣].

١١- الموكلون بسؤال الناس في قبورهم وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب، قال النبي ﷺ: (ثم يأتيه ملكان فيُجلسانه...)[٦٦].

١٢- الموكلون بتبليغ النبي ﷺ سلام أمته عليه، قال النبي ﷺ: (إن لله ملائكة سياحين، يبلغوني عن أمتي السلام)[٦٧]. ولذلك لا يحتاج المسلم في سلامه على النبي ﷺ إلى الشدة والعناء، بل يكفي أن يصلي ويسلم عليه في أي مكان، والملائكة ستنقل سلامه وتبلغه النبي ﷺ.

---

(٦٤) صحيح مسلم رقم(٢٨١٤).

(٦٥) صحيح مسلم رقم(٢٦٤٣).

(٦٦) سنن أبي داود رقم(٤٧٥٣).

(٦٧) سنن النسائي رقم(١٢٨٢).

سادساً- حقوق الملائكة على بني آدم:

أ	الإيمان بهم
ب	محبتهم وتعظيمهم وذكر فضائلهم
ج	عدم سبّهم أو تنقصهم أو الاستهزاء بهم
د	البعد عما يكرهونه، فإنهم يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم
هـ	الحياء منهم

سابعا- رؤية الملائكة:

رأى النبي ﷺ جبريل بصورته الحقيقية مرتين، ورأى بعض الصحابة رضي الله عنهم بعض الملائكة وهم متمثلون بصورة البشر، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورته وله ستمائة جناح، وكل جناح منها قد سدّ الأفق).[٦٨] وقد ثبت في حديث جبريل المشهور والذي رواه مسلم أن جبريل عليه السلام جاء بصورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه أحد من الصحابة. رضي الله عنهم

(٦٨) مسند أحمد (٣٧٤٨).

ثمرات الإيمان بالملائكة

أ- تعظيم خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

ب- زيادة الإيمان في قلب المسلم بمعرفة صفات الملائكة وأحوالهم، ووظائفهم.

ج- الأمن والطمأنينة للمؤمنين عند تثبيت الله لهم بالملائكة.

د- مراقبة النفس في الخلوة وبغض الأعمال الفاسدة والمعاصي.

هـ- شكر الله على عنايته بعباده، حيث وكّل بهم من الملائكة من يقوم بحفظهم وغير ذلك من مصالحهم.

خلاصة الوحدة

١- معرفة الملائكة والإيمان بهم تورث مراقبة الله تعالى والحياء من الوقوع في المعصية .

٢- إيجاد الله تعالى للملائكة دليل عناية الله تعالى للإنسان حيث وكل لهم من يرعى شؤونهم ويحفظهم بحفظه تعالى .

أنشطة الوحدة

من الأفضل الملائكة أم صالحو البشر؟ ولماذا؟

ما هي منافع قرب الملائكة من الإنسان؟ وكيف يقوّي المؤمن علاقته بالملائكة؟

ما هي خطورة بُعد الملائكة عن الإنسان وخروجها من المنزل؟ وما هي أسباب بعدهم عن الإنسان؟

الوحدة الثالثة

الإيمان بالكتب

الوحدة الثالثة: الإيمان بالكتب

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الكتب المنزلة هي من كلام الله تعالى على الحقيقة.
٢. أنّ من حكمة إنزال الكتاب حفظ الدين بعد موت الأنبياء.
٣. أنّ الله تعالى أنزل على رسله كتبا فيها الهدى والنور والحق والصدق والعدل يجب اتباعها والعمل بها في حق من نزلت عليهم.
٤. أنّ الإيمان بالكتب يتضمن الإيمان المجمل الذي يعني الإيمان بكل الكتب المنزلة من عند الله تعالى، وأن من الكفر الإيمان ببعضها دون البعض.
٥. أنّ الكتب المنزلة من عند الله جاءت لتحقيق التوحيد الخالص لله وإن اختلفت الشرائع.
٦. أنّ الإيمان بالكتب يتضمن الإيمان المفصل بما تم تفصيله من الكتب المنزلة وهي التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى والقرآن الكريم.
٧. أنّ الكتب السماوية السابقة وقع فيها التحريف والتبديل على يد أهل الكتاب وليس الموجود عندهم اليوم هو ذات الكتب المنزلة السابقة.
٨. أنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وختم به وبنبيه الكتب والرسالات.
٩. أنّ للقرآن الكريم مزايا عن الكتب السماوية السابقة وهو المصدق لها والمهيمن عليها.
١٠. أنّ القرآن الكريم تضمن في داخله دلائل ثبوته.

منزلة الإيمان بالكتب

إنّ حاجة الناس إلى نظام مكتوب يُسيّر حياتهم ويتعلّمون منه ما ينفعهم أمر ضروري ومشاهد، وهذا ما نجده اليوم في الدساتير الدولية التي تضع قوانين وآليات تضبط حياة المجتمع وتحدّد مساره وفق نظام معين ومرجع محدد وآلية متّبعة، لتحدّ من الفوضى وتضمن تحقق الأمن والاستقرار.

والنبوات كذلك لها نظامها المكتوب الذي يعلّم الناس طريق العبودية لله تعالى، وتحقيق مرضاته، والوصول إلى جنات النعيم، وليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فيكون لهم مرجعا، وعليهم حاكما.

والله تعالى قد أرسل رسله بالبينات وأنزل عليهم الكتب؛ رحمة للخلق وهداية لهم، لتتحقق سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولتكون منهجاً يسيرون عليه، وحاكمة بينهم فيما اختلفوا فيه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥]. وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١].

يجب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم الصلاة السلام، وأن الله تبارك وتعالى قد تكلم بها حقيقة، وأنها منزلة غير مخلوقة، ومن جحدها أو جحد شيئاً منها فقد كفر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام:١٥٥].

ومن حكمة إنزال الكتب:

أولاً: الرجوع لها والتحاكم إليها، فيرجع الناس إليها لمعرفة دينهم، بحيث يكون الكتاب المنزل على الرسول هو الحكم العدل الذي يفصل بين الناس في الخصومات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء:٥٩]. وهو حجة الله على خلقه، لا يسعهم مخالفتها ولا الخروج عنها، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[البقرة:٢١].

ثانيا: حفظ الدين بعد موت الرسول مهما تباعدت الأمكنة والأزمنة، كما هو الحال في دعوة نبينا محمد ﷺ. فقد حفظ الله دين الإسلام بحفظ القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

صفة الإيمان بالكتب إجمالاً

الإيمان الإجمالي بالكتب يتضمن أمورا:

الأول: التصديق والإقرار الجازم بأن لله كتباً أنزلها على رسله عليهم الصلاة والسلام قبل القرآن الكريم، وهي من كلامه حقيقة، وأنها نور وهدى، وأن ما تضمنته حق وصدق وعدل يجب اتباعها والعمل بها في حق من نزلت عليهم، وأنها اليوم مفقودة أو محرفة.

الثاني: التصديق والإقرار الجازم بالقرآن الكريم الذي أنزله الله على رسوله محمد ﷺ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة:٤٨].

وبالإضافة لما يجب في حق الكتب السابقة فإن القرآن الكريم يزيد عليها بوجوب اتباع ما جاء فيه، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[البقرة:٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[الأعراف:٣].

صفة الإيمان بالكتب تفصيلاً

الإيمان التفصيلي بالكتب يتضمن أموراً:

هو الإيمان بما سمى الله من كتبه في القرآن الكريم، وقد علمنا من ذلك القرآن والتوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى.

وهذه الكتب كلها جاءت لتحقيق توحيد الله بإفراده بالعبادة وعمل الصالحات والنهي عن الشرك والإفساد في الأرض، فأصل دعوة الأنبياء واحد وإن اختلفوا في الشرائع والأحكام.

أولاً - الإيمان بالكتب السماوية السابقة قبل القرآن الكريم:

١- التوراة:

هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام وجعلها هدى ونوراً يحكم بها أنبياء بني إسرائيل وأحبارهم.

والتوراة التي يجب الإيمان بها: هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وليست التوراة المحرفة الموجودة عند أهل الكتاب اليوم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤].

٢- الإنجيل:

هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام بالحق مصدقاً لما قبله من الكتب السماوية.

والإنجيل الذي يجب الإيمان به: هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام بأصوله الصحيحة، وليست الأناجيل المحرفة الموجودة اليوم عند أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦].

ومما تضمنته التوراة والإنجيل: البشارة برسالة نبينا محمد ﷺ، قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف:١٥٧].

٣- الزبور:

هو الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام.

والزبور الذي يجب الإيمان به: هو ما أنزله الله على داود عليه السلام، وليس ما دخل عليه التحريف من عمل اليهود. قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾[النساء:١٦٣]

٤- صحف إبراهيم وموسى:

هي الصحف التي آتاها الله إبراهيم وموسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النجم:٣٦-٤١].

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[الأعلى:١٦-١٩].

تحريف الكتب السابقة

نعلم يقيناً أن ما جاء في تلك الكتب من الأخبار التي أوحاها الله إلى رسله عليهم الصلاة والسلام حقٌ لا شك فيه، وهذا لا يعني أن نقبل ما في الكتب الموجودة الآن بين أيدي أهل الكتاب؛ لأنها حرفت وبدلت، فلم تبق على أصولها التي أنزلها الله ﷻ على رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام.

أدلة تحريف الكتب السابقة:

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء:٤٦،المائدة:١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة:٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٧٨].

بعض ما جاء في الكتب السابقة:

ومما علمناه من تلك الكتب مما لم يدخله تحريفٌ: ما أخبرنا الله به في القرآن الكريم عن بعض الأحكام الموجودة فيها. ومنها أن الإنسان لا يحمل وزر غيره ، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾[النجم:٣٦-٤١]، ومنها أن العمل للآخرة خير وأبقى من العمل للدنيا، قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى:١٦-١٩].

ثانياً - الإيمان بالقرآن الكريم:

القرآن الكريم: هو كلام الله الذي أنزله على محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، فكان آخر الكتب المنزلة، وقد تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل وجعله ناسخاً للكتب الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المائدة:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[الإسراء:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾[الكهف:١-٢].

مزايا القرآن عن الكتب السابقة

تميز القرآن عن الكتب السابقة بأمور أهمها:

أنه مُعجزٌ بلفظه ومعناه وما فيه من الحقائق الكونية والعلمية. قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

أنه آخر الكتب السماوية، فقد ختمت به الكتب كما ختمت الرسالات بنبينا محمد ﷺ. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

أن الله قد تكفل بحفظه من كل تحريف أو تبديل، خلافاً للكتب الأخرى فقد وقع فيها التحريف والتبديل. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

أنه مصدق لما قبله من الكتب ومهيمن عليها. ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨].

دلائل ثبوت القرآن الكريم

تضمّن القرآن الكريم من الدلائل ما يؤكد ثبوته، ومنها:

١- تحدي الإتيان بمثله:

أنّ الله تعالى تحدى المكذّبين بالقرآن أن يأتوا بمثله وأثبت عجزهم عن ذلك، وقد ورد التحدي بأوجه مختلفة، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، ثم تحداهم بأقل من ذلك فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

ثم تحداهم بأقل من ذلك فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٢٣].

وهي آيات تستحثهم على المواجهة، ومع هذا عجزوا عن الإتيان بمثله، بل قالوا ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة:٨٨]، و﴿فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت:٥].

وقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من وجوه التحدي؛ ففيه الخطاب العقدي، والبرهان العقلي، والخبر التاريخي، والتقرير التشريعي، كما اشتمل على نَظْم يخالف معهود الشعر والنثر الذي تميّز به العرب.

ولذلك قالت (أنجليكا نويفرت) -زعيمة المستشرقين في ألمانيا- "أعتقد حقًّا أنّ القرآن قد أوقع الباحثين في الغرب في حرج؛ إذ لم يتمكّنوا من تفسير الظهور المفاجئ للقرآن بغناهُ في الأفكار وبيانه البديع في بيئة لم يكن فيها سابقًا أي نص مكتوب مبجّل"(٧١).

وهذا ما دفع (الوليد بن المغيرة) لـمّا سمع القرآن من النبي ﷺ، ثم استحثه أبو جهل أن يقول عما سمعه قولاً منكراً، إلا أنه قال: "والله ما فيكم رجل أعلمَ بالأشعار مني، ولا أعلمَ برَجَز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إنّ لقوله الذي يقول حلاوةً، وإنّ عليه لطلاوةً(٧٢)، وإنّه لمُثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ(٧٣) أسفلُهُ، وإنّه ليعلو وما يُعلَا، وإنّه ليَحطِمُ ما تحتَهُ"(٧٤).

ومثله (لبيد بن ربيعة ﷺ) الذي قال عنه ﷺ: (أَشعَر كلمة تكلّمت بها العرب كلمة لبيد: "ألا كل شيء ما خلا الله باطل")(٧٥). وقد كان لبيد أشعر شعراء الجاهلية، وهو الذي قال لمّا سأله عمر ﷺ عما قاله من الشعر في الإسلام: (قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة)(٧٦).

---

(٧١) انظر: شهادة مباشرة ومسجّلة في:
God›s Testimony: The Divine Authorship of the Quran, at the following website:
https://www.hamzatzortzis.com/gods-testimony-the-divine-authorship-of-the-quran/

(٧٢) الطلاوة: الرونق والحسن. ينظر: لسان العرب،، ١٥/ ١٤.

(٧٣) المغدق: كثير الخير والماء والسخاء. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٠/ ٢٨٣.

(٧٤) رواه الحاكم (٣٨٧٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

(٧٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٦٢٨)، وصحيح مسلم رقم(٢٢٥٦).

(٧٦) فتح الباري، لابن حجر، ٧/ ١٥٣.

٢- إخبار القرآن بالغيب:

أنزل الله تعالى في كتابه الكريم بياناً عن أمور غيبية لا يمكن أن يعلمها النبي بأي وسيلة بشرية، من أمثلة ذلك:

- **الغيب الماضي:** كالإخبار عن خلق السماوات والأرض، وقصة آدم وقصة إبليس، وقصص الأنبياء السابقين والأمم الماضية، قال تعالى في خطابه لمحمد ﷺ في قصة نوح عليه السلام: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[هود:٤٩]، وفي قصة موسى عليه السلام: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[هود:٤٤-٤٦]، وفي قصة مريم عليها السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[آل عمران:٤٤]. وقد كان النبي ﷺ أمياً لا يعرف القراءة، ولم يقرأ في كتب أهل الكتاب، ولم يتلق الدرس عنهم ولا عن غيرهم قبل نزول الوحي عليه.

- **الغيب الحاضر:** كتبرئة الله تعالى لعائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾[النور:١١]، ومثلها قصة خولة بنت ثعلبة لما جاءت تشتكي زوجها لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:١]، وكإخبار القرآن عن حال المنافقين وما كانوا يخفونه عن رسول الله، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة:٧٤]، وقوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾[التوبة:٦٤].

- **الغيب المستقبل:** كرؤيا النبي ﷺ دخولهم المسجد الحرام فدخلوه فيما بعد آمنين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح:٢٧].

٣- مطابقة القرآن للكشوف العلمية:

جاء القرآن الكريم مطابقًا للكشوف العلمية في جميع الحالات مثل الطب والفلك والجيولوجيا وغيرها، فمع أنه كتاب هداية وتشريع، إلا أنه تضمّن حقائق علمية كشفت عن تطابق تام بين ما توصل إليه العلم الحديث بعد البحث الطويل، وبين ما هو مقرر في القرآن والحديث النبوي عن تلك الحقائق.

ومن أمثلة ذلك:

- **تَشكُّل أمواج داخلية تحت البحار:** وقد عرفها العلماء بعد أن استعملوا الغواصات وتمكّنوا من الغوص في أعماق البحار ورأوا ظلماتها التي تحدث عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

- **التقاء الماء المالح مع الماء العذب في البحار والمحيطات:** وهذا دون أن يفقد أي منهما خصائصه، وهي ظاهرة كونيّة اكتشفها العلماء وتم تحديد مكان وجودها بناء على دراسات وأبحاث علمية، في حين أنه لا يمكن للعين أن ترى نقطة انفصالهما، وقد بيّن هذا القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠].

وفي تأكيد مطابقة ما في الوحي مع ما توصل إليه العلم الحديث يقول (موريس بوكاي) -أحد المهتمين بمقارنة الأديان-: "تناولتُ القرآن منتبها بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية، لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أن تُدرك إلا في النص الأصلي، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات، والتي لم يكن ممكنا لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكوّن عنها أدنى فكرة"(٧٧).

(٧٧) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص١٤٥.

٣

خلاصة الوحدة

أنـزل الله تعالـى التكاليف مراعيـا حـاجة النـــاس إليها في أصل خلقتهم وطبيعة تكوينهم ، فالناس بحاجة لنظـام مكتـوب يسـيّر حياتهـم ويتعلمـون منـه مـا ينفعهـم، وكذلـك النبـوات لهـا نظامهـا المكتـوب الـذي يعلّم الناس دينهـم ويسترشـدون به ويتحاكمـون إليـه فيمـا اختلفـوا فيـه .

أنشطة الوحدة

١. ما هي أوصاف القرآن الكريم الواردة في سورة الإسراء؟

٢. ما هي منافع المحافظة على ورد يومي من القرآن الكريم؟

٣. اجلس جلسة بعيدة عن المشغلات والعوارض، واقرأ سورة (الرحمن) بخشوع وتدبر، واشعر أن هذه الآيات خطاب مباشر لك أنت، ما الذي تشعر به بعد انتهاء هذا النشاط.

٤. ما هي الأساليب والوسائل المعينة على قراءة القرآن بخشوع وتدبر؟

٥. قال الله تعالى وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ في هذه الآية تهديد بنزع القرآن الكريم والذهاب به. ما خطورة هذا التهديد وآثاره على البشرية لو وقع؟

٤ الوحدة الرابعة

الإيمان بالرسل

الوحدة الرابعة: الإيمان بالرسل

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ النبوّة واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه.
٢. أنّ النبوة توهب ولا تكتسب، وقد اصطفى الله أنبياءه من خيرة خلقه وأكملهم.
٣. أنّ علم الغيب من خصائص الربوبية وليس من صفات الأنبياء.
٤. أنّ حكمة الله ورحمته اقتضت إرسال الرسل لإعادة الناس للدين الحق بعد أن اجتالتهم الشياطين وبدلت دينهم.
٥. أنّ حكمة الله اقتضت أن يكون الرسول بشريا لديه من الإمكانات ما لدى البشر، ولو لم يكن الرسول من البشر لكانت حجة للإعراض عنه بدعوى اختلافهم عنه ومحدودية تكوين الإنسان.
٦. أنّ الناس بحاجة لنموذج يقتدى به والرسل هم النموذج الأمثل للتأسي والاقتداء.
٧. أنّ الإيمان بالرسل يتضمن الإيمان المجمل بأنّ الله تعالى أرسل رسلا اصطفاهم لتبليغ رسالته وأنهم بلغوا ما أنزل إليهم البلاغ المبين.
٨. أنّ من كذّب برسول فقد كذب بالمرسل، و من كذب برسول فقد كذب بالمرسلين الذين أخبر الله تعالى بهم.
٩. أنّ الله تعالى ما بعث نبيًا إلا وبعث معه من الدلائل والمعجزات ما يدل على صدقه ويؤكد نبوته بحيث لا يمكن معه الاشتباه بين النبي الصادق والمتنبّئ الكاذب.
١٠. أنّ عدد الرسل والأنبياء كثير منهم من قصّ الله علينا في كتابه ومنهم من لم يقصص علينا، وقد سمى في كتابه خمسة وعشرين نبيا ورسولا.
١١. أنّ الأنبياء يتفاضلون وأفضلهم أولوا العزم وأفضل أولو العزم محمد ﷺ.
١٢. أنّ الإيمان بالرسل يتضمن التصديق والإقرار بنبوة محمد ﷺ وأنه الخاتم للنبوة والمرسل للثقلين.
١٣. أنّ نبوة محمد ﷺ ثبتت بعدد من الدلائل سواء كانت من قبيل المعجزات أم من قبيل دلالة أحوال النبي ﷺ وصفاته على النبوة.
١٤. أنّ من مقتضيات الإيمان بنبوة محمد ﷺ اتباع سنته وتجنّب الغلو فيه.
١٥. أنّ من حقوق نبينا محمد ﷺ محبته، واحترامه وتوقيره، وتعلّم سيرته، واقتفاء أثره، والصلاة والسلام عليه، ومحبة آل بيته وصحبه وموالاتهم.

منزلة الإيمان بالرسل

أنزل الله آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض، وقال تعالى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

وقد ظلت البشرية عشرة قرون بعده محافظة على عبادة الله وحده لا شريك له، ولكن اجتالتهم الشياطين بعد ذلك فحرفتهم عن دينهم.

ثم اقتضت حكمة الله ورحمته ﷻ بهذا الجنس البشري أن أرسل لهم نوحاً عليه السلام وهو أول رسول بعد الانحراف الأول؛ ليردّ الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويبين لهم شريعة الله، ولكن ما آمن معه إلا قليل.

وهكذا أرسل الله ﷺ رسله تترًا، يدعون كل أمة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فمِن هذه الأمم مَن آمن بالله، وأسلم دينه ووجهه لله، ومنهم مَن كفر بالله وكذّب رسله.

واقتضت حكمة الله ورحمته أن يكون هذا الرسول الذي يرسله إلى البشر بشرا مثلهم، يأكل من طعامهم، ويشرب من شرابهم، ويلبس من لباسهم؛ لأن الإنسان بحاجة لنموذج يقتدي به، فإذا لم يقتدِ المسلم بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم اقتدى بغيرهم، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

وهذا هو منهج رسولنا الكريم ﷺ في الاقتداء بالأنبياء من قبله، قال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

ومن كذّب رسولاً فقد كذّب الذي أرسله، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

ومن كذب رسولا فقد كذب بالرسل جميعا، قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء:١٠٥]، وقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١] وقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[الشعراء:١٦٠]، وقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٦].

ومن حكمة إرسال الرسل عليهم السلام:

أولاً: إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن رق عبودية المخلوق إلى حرية عبادة رب العباد. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠].

ثانياً: بيان الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها، وهي عبادته وتوحيده، ولا تُعرف هذه الغاية إلا عن طريق الرسل الذين اصطفاهم الله من خلقه وفضلهم على العالمين. قال تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

ثالثاً: إقامة الحجة على البشر بإرسال الرسل، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٦٥].

رابعاً: بيان بعض المغيّبات التي لا يدركها الناس بعقولهم، مثل أسماء الله وصفاته، ومعرفة الملائكة واليوم الآخر وغير ذلك.

خامساً: الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم حيث كمَّلهم الله بالأخلاق الفاضلة وعصمهم من الشبهات والشهوات. قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[الأنعام:٩٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الممتحنة:٦].

سادساً: إصلاح النفوس وتزكيتها وتطهيرها وتحذيرها من كل ما يردُ في النفس من شبهات أو شهوات. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[الجمعة:٢]، وقال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[٧٨].

(٧٨) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣). ومسند أحمد (٨٩٥٢).

صفة الإيمان بالرسل إجمالاً

الإيمان الإجمالي بالرسل يتضمن أموراً:

الأول: التصديق والإقرار الجازم بأن لله تعالى رسلاً قبل نبيه الكريم محمد ﷺ اصطفاهم لتبليغ رسالاته، فمن اتبعهم فقد اهتدى، ومن عصاهم فقد غوى، وأنهم قد بلغوا ما أنزل الله إليهم من ربهم البلاغ المبين، وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حق جهاده، وأقاموا الحجة، ولم يبدلوا أو يغيروا أو يكتموا شيئاً مما أرسلوا به، ونؤمن بمن سمى الله لنا ومن لم يسمِّ، وكل رسول منهم يبشِّر بمن يأتي بعده، والمتأخر منهم يصدِّق مَن كان قبله، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦].

الثاني: التصديق والإقرار الجازم بأن الله أرسل نبيه محمدا ﷺ إلى الثقلين كافة، بشيرا ونذيرا، لا يخرج عن عموم رسالته أحد، فمن كذّب به فهو من الكافرين، حتى لو آمن بكل رسولٍ قبله، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾ [الفتح:١٣].

صفة الإيمان بالرسل تفصيلاً

الإيمان التفصيلي بالرسل يتضمن أموراً:

أولاً- حقيقة النبوة:

النبوة: واسطة بين الخالق والمخلوق في تبليغ شرعه، يَمُنُّ الله بها على من يشاء من عباده، ويختار لها من شاء من خلقه، فما كانت الخيرة لأحد غيره سبحانه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

وهي توهَب ولا تُكتسب، ولا تُدرَك بكثرة طاعة أو عبادة، ولا تأتي باختيار النبي أو طلبه، وإنما هي اجتباء واصطفاء من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[الشورى:١٣].

ثانياً- وظائف الرسل عليهم السلام:

للرسل عليهم السلام وظائف جليلة منها:

١- تبليغ الشريعة وإقامة شرع الله، ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وخلع عبادة ما سواه. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾[الأحزاب:٣٩].

٢- تبيين ما أنزل الله من الدين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤].

٣- دلالة الأمة إلى الخير وتحذيرهم من الشر، وتبشيرهم بالثواب وإنذارهم العقاب، قال تعالى: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[النساء:١٦٥].

٤- إصلاح الناس بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة في الأقوال والأفعال. قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

٥- شهادة الرسل على أممهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم البلاغ المبين. قال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾[النساء:٤١].

ثالثاً- الإسلام دين جميع الأنبياء:

الإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران:١٩].

وقال نوح لقومه: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[يونس:٧٢].

وقال الله تعالى عن إبراهيم ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١].

وقال إبراهيم ويعقوب موصيين أبناءهم: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٢].

وقال أبناء يعقوب إجابةً لأبيهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٣].

وقال موسى لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤].

وقال الحواريون لعيسى: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٥٢].

وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾[القصص:٥٣].

فكل الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة ما سواه، وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم فإنهم متفقون على الأصل وهو التوحيد. قال ﷺ: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[٧٩].

رابعاً- الرسل بشر لا يعلمون الغيب:

علم الغيب من خصائص الربوبية وليس من صفات الأنبياء؛ لأنهم بشر كغيرهم من البشر، يأكلون ويشربون ويتزوجون وينامون ويمرضون ويتعبون. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[الفرقان:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد:٣٨].

ويصيب الأنبياء ما يصيب البشر من الحزن والفرح والجهد والنشاط، وإنما اصطفاهم الله لتبليغ دينه، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه. قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾[الجن:٢٦-٢٧].

(٧٩) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٤٤٣) وصحيح مسلم رقم(٢٣٦٤).

خامساً- عصمة الرسل:

اصطفى الله سبحانه وتعالى لرسالته وتبليغها أفضل خلقه، وأكملهم خَلقاً وخُلقاً، وعصمهم من الكبائر، وبرّأهم من كل عيب، حتى يؤدوا وحي الله إلى أممهم، فهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه وتعالى في تبليغ رسالاته باتفاق الأمة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾[المائدة:٦٧]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[الأحزاب:٣٩]، وقال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا﴾[الجن:٢٨].

وإذا صدرت من أحد الأنبياء الصغائر التي لا تعلق لها بالتبليغ فإنه يُبيّن لهم، وسرعان ما يتوبون إلى الله وينيبون إليه فتكون كأن لم تكن، وينالون بذلك منزلة أعلى من منزلتهم السابقة؛ وذلك لأن الله قد خص أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بكمال الأخلاق وصفات الخير ونزههم عن كل ما يحط من أقدارهم ومكانتهم.

سادساً- عدد الأنبياء والرسل وأفضلهم:

عدد الرسل كثير والأنبياء أكثر منهم، منهم من قصّ الله علينا في كتابه، ومنهم من لم يقصص علينا، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾[النساء:١٦٤].

وقد سمى الله في كتابه منهم خمسة وعشرين نبياً ورسولاً:

جاء في سورة الأنعام ذكر أسماء ثمانية عشر منهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[الأنعام:٨٣-٨٧].

والسبعة الباقون هم:

١ **آدم عليه السلام**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾

[آل عمران: ٣٣]

٢ **هود عليه السلام**

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾

[الأعراف: ٦٥، وهود: ٥٠]

٣ **صالح عليه السلام**

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾

[الأعراف: ٧٣، وهود: ٦١]

٤ **شعيب عليه السلام**

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾

[الأعراف: ٨٥، وهود: ٨٤، والعنكبوت: ٣٦]

٥-٦ **إدريس وذو الكفل عليهما السلام**

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٥]

٧ **محمد صلى الله عليه وسلم**

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾

[آل عمران: ١٤٤]

وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ﴾[الإسراء:٥٥]، وفضل الله الرسل بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

وأفضلهم: أولو العزم من الرسل، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد عليهم السلام، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[الأحزاب:٧].

وأفضل أولو العزم من الرسل: محمد ﷺ ، فهو أفضل الرسل وخاتم النبيين وإمام المتقين، وسيد ولد آدم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا.

وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد والحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة.

وقد بعثه الله بأفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما تفرق فيمن كان قبلهم، وزادهم عليه ما اختصوا به، وهم آخر الأمم خَلْقَاً وأولهم بعثاً.

وقال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر. وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي)[٨٠].

وقال ﷺ: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلِّ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)[٨١].

(٨٠) سنن الترمذي رقم(٣١٤٨).

(٨١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٣٥)، وصحيح مسلم رقم(٥٢١).

سابعاً- الإيمان بنبوة محمد ﷺ :

الإيمان بنبوته ﷺ أصل عظيم من أصول الإيمان، ولا يتحقق إيمان العبد إلا به، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح:١٣]، وقال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وإني رسول الله)(٨٢).

ولا يدخل أحد الجنة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم إلا باتباعه والإيمان به.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ).(٨٣)

ثامناً- دلائل نبوة محمد ﷺ :

لم يبعث الله تعالى نبياً إلا وأرسل معه دلائل توجب التصديق بنبوته، سواء كانت معجزات حسية، أو أمورا يتضمنها الوحي المنزل على النبي، أو تتوقف على النظر في حال النبي وتدفع للتسليم بصدقه.

والنبوة هي الطريق العملي للإسلام؛ والإنسان محتاج إليها لأنها وحي في جانبه العملي، وقد امتاز الأنبياء بصفات متميزة أكسبتهم بين الناس حظوة ومكانة، وأهّلتهم لهذا الاصطفاء؛ فكان من المتعذّر الشك فيهم وفيما يحملون من أخبار أطلعهم الله عليها لا سبيل لمعرفتها من غيرهم؛ فلا يُقبل الإخبار عن حقيقة الوحي من غير طريق الأنبياء عليهم السلام، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:١٢٤].

ويقول ﷻ في بيان اصطفائه من البشر للنبوة، وأنّها لا تُنال لأي أحد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[الشورى:٥٢].

---

(٨٢) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٢٥)، وصحيح مسلم رقم(٢٢).

(٨٣) صحيح مسلم.

ودلائل النبوة كثيرة متنوعة، منها:

أولاً- دلالة المعجزات على النبوة:

المقصود بالمعجزات: الآيات الخارقة للسنن الجارية، والخارجة عن مقدور الثقلين، التي يؤيد بها الله أنبياءه عليهم السلام، ويبيّن صدقهم في تلقّي الوحي، ويميّزهم بها عن المتنبئين الكاذبين.

وقد أيّد الله رسله عليهم السلام بالآيات العظيمة والمعجزات الباهرة لتكون حجة أو حاجة، كالقرآن الكريم وانشقاق القمر، وانقلاب العصا حيّة، وخلق الطير من الطين، وإحياء الموتى، وغيرها.

ودلالة المعجزة على صدق الأنبياء ضرورية؛ لأنها من الأمور المشاهدة التي لا يمكن إنكارها أو الشك فيها إلا بإنكار المعارف الضرورية؛ لأنه لا يتعلّق حصولها بقدرة مخلوق، والله تعالى يؤيد بها أنبياءه، ليقيموا بها الحجة على مخالفيهم، ولولا إقدار الله لهم بها ماكانت لهم القدرة عليها.

فالمعجزة الخارقة للعادة دليل على النبوة الصادقة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[الحديد:٢٥]. وقال ﷺ: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)(٨٤).

والقرآن الكريم هو أعظم المعجزات الخالدة التي نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، قال تعالى ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢].

(٨٤) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٤٩٨١)، وصحيح مسلم رقم(١٥٢).

ثانيًا- دلالة أحوال النبي وصفاته على النبوة:

يمكن الاستدلال على صدق النبي بالنظر في أحواله وصفاته، وأساس هذه الدلالة أنه يمكن تمييز النبي الصادق من المتنبّئ الكاذب بالنظر إلى أحوالهما تمييزا ضروريا؛ بحيث لا يمكن أن يشتبه من عُرِفَ عنه تحرّي الصدق بمن عُرِفَ عنه الوقوع في الكذب.

وإذا تحقّق ذلك لعموم الصادقين والكاذبين فإنه فيما يتعلق بالأنبياء أولى؛ لأن النبوة هي أشرف فضيلة يمكن أن تحصل لبشر، فمن المحال أن يختص الله بها من تكون أحواله مناقضة لمقتضى النبوة، وإنما تكون النبوة لمن اختصه الله بما يؤهله لها، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:١٢٤].

ولو نظرنا لأحوال نبينا محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها، وتتّبعنا سيرته، وتأملنا حاله مع أهله وقومه، ورأينا مواقفه مع أعدائه، لشهدنا له بالفضل وزكاء النفس، وتأكد لكل أحد صدق الرسالة التي جاء بها من عند الله تعالى.

وممن استدل بأحوال النبي ﷺ على صدق رسالته: هرقل.

وكان ذلك من خلال عشرة أسئلة سألها هرقل لأبي سفيان كما جاء في صحيح البخاري عن عن عَبْدَ اللَّه بْنَ عَبَّاس، أَخْبَرَهُ أن أبا سفيان بْنَ حَرْب، أَخْبَرَهُ: (أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْه فِي رَكْب مِنْ قُرَيْش - وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّام - فِي الْمُدَّة الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سفيان وَكُفَّارَ قُرَيْش، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلسه، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّوم ثُمَّ دَعَاهُمْ، وَدَعَا بِتَرْجُمَانه، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُل الَّذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سفيان: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا. فَقَالَ أَدْنُوهُ منِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْره. ثُمَّ قَالَ لتَرْجُمَانه: قُلْ لَهُمْ أَنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُل، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّه لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْه.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أن قَالَ: (١) كَيْفَ نَسَبُهُ فيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فينَا ذُو نَسَب. قَالَ: (٢) فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ منْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: (٣) فَهَلْ كَانَ منْ آبَائه منْ مَلك؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: (٤) فَأَشْرَافُ النَّاس يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: (٥) أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: (٦) فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: (٧) فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: (٨) فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. قَالَ: (٩) فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ. قَالَ: (١٠) مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَقَالَ (هرقل) للتَّرْجُمَان بعد أن انتهى من السؤال: (..قُلْ لَهُ: (١) سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: (٢) هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ: (٣) هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ: (٧) هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ، وَسَأَلْتُكَ: (٤) أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ، أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، (٥) وَسَأَلْتُكَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، (٦) وَسَأَلْتُكَ: أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، (٨) وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ: لاَ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ، (١٠) وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ. فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ)[٨٥].

ومن هذه الدلائل التي استدل بمثلها هرقل ما يأتي:

١- أنّ النبي ﷺ لم يسع في طلب الوحي بل لبث قبل الوحي أربعين سنة لم يؤثر عنه ذكر النبوة، ولم يكن يعلم كيف يعبد ربه ويتقرب إليه حتى هداه الله بالوحي والنبوة، فكان على ما وصفه الله حيث قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[الضحى:٧]، والضلال في الآية

(٨٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٧)، وصحيح مسلم رقم(١٧٧٣).

ليس بضلال غواية -كما قد يُظن-، بل هو الغفلة عن أمر النبوة؛[٨٦] على نحو قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، بمعنى الحيرة من الحال الذي بلغه قومه، مع إعراضه عن شركهم وضلالهم. ثم فاجأه الوحي بغار حراء، ولو أنّه ﷺ سعى في طلب الوحي، أو اتصل بأهل الكتاب؛ لعَلِم ذلك قومه وأشهروه، وجعلوه حجة لهم على بطلان دعواه، وقد كانوا يجتهدون للنيل منه ويتمنون الإطاحة به، ولهذا أمره الله تعالى أن يحتجّ على قومه بحاله تلك، فقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس:١٦].

٢- أنه عُرف ﷺ بين قومه بالصدق والأمانة، ولهذا احتج على قريش لما جمعهم عند الصفا بما يعرفونه من حاله حينما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قائلاً لهم: (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدّقي؟ قالوا: ما جرّبنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[٨٧].

٣- أن مجرد رؤيته تدل على صدقه دون أدنى معرفة بحاله، ولهذا شهد عبد الله بن سلام رضي الله عنه بصدقه بمجرد رؤيته حين ذهب لينظر إلى النبي ﷺ لمّا قدم المدينة، قال: (فلمّا تأمّلت وجهه واستَثْبَتُّه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب)[٨٨].

٤- أنّ أتبّاع النبي ﷺ لا زالوا يتزايدون من اليوم الذي بُعِث فيه، لم ينقصوا في يوم عن اليوم الذي قبله، وقد استدل بهذا الدليل هرقل ضمن استدلالاته فقال: (وسألتك هل يزيد أتباعه أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم)[٨٩].

وما قاله هرقل تؤكده الأخبار والإحصاءات المعاصرة:

ففي تصريح للفاتيكان يوم الأحد بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٩، الموافق ٣٠ مارس ٢٠٠٨ قال: "لأول مرة في التاريخ؛ لم نعد نحن الكاثوليك الأكثر ديانة على مستوى العالم، لقد تقدّمنا المسلمون".

---

(٨٦) ينظر: فتح القدير، للشوكاني، ٥٥٨/٥.

(٨٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٤٧٧٠)، وصحيح مسلم رقم(٢٠٨).

(٨٨) سنن الترمذي رقم(٢٤٨٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وسنن ابن ماجه (٣٢٥١)، ومسند أحمد(٢٣٧٨٤).

(٨٩) صحيح البخاري رقم(٤٥٥٣).

كما أكدت عدد من الدراسات الصادرة عن مراكز الأبحاث المعنية بالديانات في العالم؛ بأن دين الإسلام هو أسرع الأديان نموا في العالم.(٩٠)

تاسعاً- مايتضمنه الإيمان بنبوة محمد ﷺ:

الإيمان بنبوة محمد ﷺ يتضمن أمورا:

أولاً: التصديق والإقرار الجازم بما أخبر به، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، فطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله، وبتحقيق تصديقه واتباعه ﷺ يتحقق الإيمان به عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: الاعتقاد بأنه رسول الله إلى عموم الثقلين من الجن والإنس فلا يسع أحدًا منهم إلا اتباعه. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧].

ثالثاً: التصديق والإقرار الجازم برسالته، وأنه أفضل الأنبياء وخاتمهم، وأن رسالته ناسخة لجميع الرسالات السابقة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠].

رابعاً: التصديق والإقرار الجازم بأن أمته خير الأمم، وأكثر أهل الجنة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠].

خامساً: التصديق والإقرار الجازم بأن الله أيّده بأعظم معجزة وأظهر آية، وهي القرآن العظيم كلام الله المحفوظ من التغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:٩].

(٩٠) راجع مقالة ويكيبيديا عن النمو السكاني الإسلامي.

سادساً: التصديق والإقرار الجازم بأن الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فما من خير إلا ودلّ الأمة عليه، ورغّبها فيه، وما من شر إلا ونهى الأمة عنه، وحذرها منه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال ﷺ: (إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم)[٩١].

سابعاً: عدم ابتداع طريقة في الدين غير طريقته، قال ﷺ: (عليكم بسنتي)[٩٢]، وقال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)[٩٣].

ثامناً: تجنب الغلو فيه ﷺ فإنه من أعظم الأذية له ﷺ، إذ حذّر عليه الصلاة والسلام أمته من الغلو فيه والتجاوز في إطرائه ومدحه، وإنزاله فوق منزلته التي أنزله الله مما يختص به الرب ﷻ، قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم)[٩٤]. ومن ذلك: دعاؤه أو الاستغاثة به، أو الطواف بقبره أو النذر والذبح له فكل هذا شرك بالله، وقد نهى الله عن صرف العبادة لغيره سبحانه.

عاشراً- حقوق نبينا محمد ﷺ:

أولاً: محبته ﷺ، وتقديم محبته على النفس وسائر الخلق، وتعظيمه وتوقيره، وإجلاله، واحترامه وطاعته، فإن هذا من حقوقه التي أوجبها الله في كتابه لنبيه ﷺ فإن محبته من محبة الله، وطاعته من طاعة الله. ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقوله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[٩٥].

ثانياً: معرفة سيرته ﷺ، من خلال كتب السيرة والسنة التي تحدثت عن حياته ﷺ.

---

(٩١) صحيح مسلم رقم(١٨٤٤).

(٩٢) سنن الترمذي رقم(٢٦٧٦)، وأبي داود رقم(٤٦٠٧)، وابن ماجه رقم(٤٢).

(٩٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٢٦٩٧)، وصحيح مسلم رقم(١٧١٨).

(٩٤) صحيح البخاري رقم(٣٤٤٥).

(٩٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١٥)، وصحيح مسلم رقم(٤٤).

ثالثاً: الصلاة والتسليم عليه ﷺ والإكثار من ذلك، فإن البخيل من ذُكر عنده النبي ﷺ فلم يصلِّ عليه[٩٦]. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: (صلّوا علي، فإنه من صلى عليّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشراً)[٩٧].

رابعاً: احترامه ﷺ، ومن ذلك أن لا تُرفع الأصوات عنده قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات:٢]. وحرمته ﷺ بعد دفنه كحرمته في أيام حياته، فيجب أن نحترمه ﷺ كما فعل الرعيل الأول رضوان الله عليهم، وألا تُرفع الأصوات عند قبره.

خامساً: محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه رضي الله عنهم، وموالاتهم جميعاً، والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء، فإن الله قد رضي عنهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ، وأوجب على هذه الأمة موالاتهم، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[التوبة:١٠٠]، وقال ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه)[٩٨].

وندب الله من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم، وسؤال الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر:١٠].

(٩٦) ينظر: سنن الترمذي رقم(٣٥٤٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.
(٩٧) صحيح مسلم رقم(٣٨٤).
(٩٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٦٧٣)، وصحيح مسلم رقم(٢٥٤٠).

٤

خلاصة الوحدة

النبوة هي الواسطة بين الخالق وخلقه في تبليغ شرعه، وهي الطريق العملي للإسلام، والإنسان محتاج إليها لأنه وحي في جانبه العملي.

أنشطة الوحدة

١. قراءة وتلخيص باب من أبواب كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) يتعلق بهدي النبي صلى الله عليه وسلم في أمر من الأمور.

٢. استخراج معجزات الأنبياء الوارد ذكرها في سورة الشعراء.

٣. كيف تستدل اليوم على صدق نبوة النبي ﷺ عند دعوة أحد الكافرين؟

٤. كيف يكون الجواب عن مقولة أن دين الإسلام قد انتشر بالسيف والقتل؟ وليس بالاقتناع برسالة محمد صلى الله عليه وسلم؟

الوحدة الخامسة

الإيمان باليوم الآخر

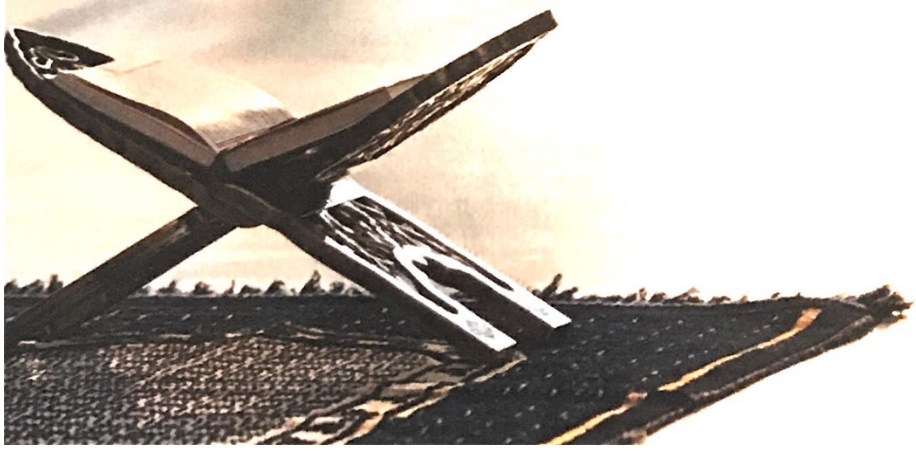

الوحدة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب.
٢. أنّ الحياة الدنيا دار فناء وعمل والدار الآخرة دار بقاء وجزاء.
٣. أنّ اليوم الآخر يبدأ منذ أن يموت الإنسان ويمر بسلسلة من المراحل التي تنتهي بالجنة أو بالنار.
٤. أنّ الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بفتنة القبر، وعذاب القبر ونعيمه، والبعث، والحشر، والحساب والجزاء، والجنة والنار.
٥. أنّ بعث الموتى من قبورهم حق ثابت دل عليه الشرع والحس والعقل.
٦. أنّ الجنة هي دار الكرامة التي أعدها الله للمتقين وفيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.
٧. أنّ النار هي دار العذاب التي أعدها الله للكافرين والمعرضين وفيها أشد صنوف العذاب.
٨. أنّ الإيمان باليوم الآخر يثمر الرغبة في فعل الطاعة والرهبة من فعل المعصية.
٩. أنّ الإيمان باليوم الآخر يثمر تسلية المؤمن عما يفوته في الدنيا من النعيم؛ حيث سيعوضه الله بأحسن من نعيم الدنيا.
١٠. أنّ الإيمان باليوم الآخر يثمر تسلية المؤمن عما يتعرض له في حياته من ظلم وأذى؛ حيث سيجازي الله الظالمين والمعتدين ويقتص منهم.

منزلة الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، فمن أنكره فقد كفر. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[البقرة:١٧٧]، وفي حديث جبريل: (فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[٩٩].

صفة الإيمان باليوم الآخر إجمالاً

الإيمان الإجمالي باليوم الآخر يعني: التصديق والإقرار الجازم بنهاية الحياة الدنيا والدخول بعدها إلى دار أخرى، تبدأ بالموت والحياة البرزخية، وتمر بقيام الساعة ثم البعث والحشر والجزاء إلى دخول الناس الجنة أو النار.

واليوم الآخر هو اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين فيجازي كلاً بعمله. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾[الواقعة:٤٩-٥٠].

صفة الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً

الإيمان التفصيلي باليوم الآخر يتضمن أموراً يجب التصديق والإقرار الجازم بها ومنها:

أولاً- فتنة القبر:

هي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ، فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، كما ورد في الحديث أن المؤمن عندما يسأل في قبره عن ربه ودينه ونبيه فيقول: (ربي الله، ودِيني الإسلام ونبي محمد ﷺ)[١٠٠].

---

(٩٩) صحيح مسلم رقم(٨).

(١٠٠) سنن أبي داود بمعناه رقم(٤٧٥٣)، وأصله في الصحيحين: صحيح البخاري رقم(١٣٦٩)، وصحيح مسلم رقم(٢٨٧١).

ثانياً- عذاب القبر ونعيمه:

يجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وأنه إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأن القبر أول منازل الآخرة، ومن مات قامت قيامته.

فالنعيم والعذاب يقع على الروح أصلا والجسد تبعا، وعذابه يكون للظالمين، ونعيمه يكون للمؤمنين الصادقين.

والميت يعذّب في البرزخ أو ينعّم، سواء قُبر أو لم يقبر، فلو أُحرق أو غرق أو أكلته السباع أو الطيور فلابد أن يناله ذلك العذاب أو النعيم، كما قال الله تعالى عن آل فرعون وقد ماتوا غرقا: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر:٤٦]، وقال ﷺ: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)[١٠١].

ثالثا- البعث:

هو إحياء الله الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية فيقوم الناس لرب العالمين، فإذا أذن الله بالنفخ في الصور وبرجوع الأرواح إلى أجسادها حينئذٍ قام الناس من قبورهم وساروا مسرعين إلى الموقف، حفاة: غير منتعلين، عراة: غير مكتسين، غُرْلاً: غير مختونين، بُهْماً: ليس معهم شيء، ويطول الموقف وتدنو الشمس منهم ويزاد في حرها، ويلجمهم العرق؛ لشدة الموقف، فمنهم من يبلغ العرق إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ إلى حقويه، ومنهم من يبلغ إلى ثدييه، ومنهم من يبلغ إلى منكبيه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً، وذلك كله بقدر أعمالهم.

والبعث حق ثابت دل عليه الشرع والحس والعقل:

فأما الشرع، فالآيات الكثيرة في كتاب الله والنصوص الصحيحة من سنة رسول الله ﷺ الدالة على إثباته، قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧]، وقال ﷺ: (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً[١٠٢]، ثم لا يبقى أحد إلا صعق، ثم ينزل الله مطراً

(١٠١) صحيح مسلم رقم(٢٨٦٨).

(١٠٢) لِيْتاً: أي صفحة العنق، وأصغي أي أمال، والمعنى أمال عنقه

كأنه الطلّ[١٠٣]، فتنبت أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)[١٠٤].

وأما الحس، فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك، وهي قوم موسى الذين أحياهم الله بعد إماتتهم، والقوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، والذي مر على قرية، وطير إبراهيم عليه السلام وقتيل بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة:٧٢-٧٣].

وأما العقل، فالاستدلال به من عدة أوجه:

١- أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض، وما فيهما، خلقهما وخلق الإنسان ابتداءً، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣].

٢- أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها حياة، فينزل الله عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، فالقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

٣- من مقتضى عدل الله تعالى أن يكون ثمّة دار يجازى فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته؛ لأن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق والعدل، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية:٢١-٢٢].

٤- من مقتضى حكمة الله تعالى وجود اليوم الآخر، إذ الإنسان لم يُخلق عبثا ولا سدىً،

---

(١٠٣) الطل: وهو المطر الخفيف. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ١١/ ٤٠٥.

(١٠٤) صحيح مسلم رقم(٢٩٤٠).

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[المؤمنون:١١٥].

رابعًا- الحشر:

الحشر يعني: سوق الناس وجمعهم إلى الموقف لحسابهم، والفرق بينه وبين البعث هو أن البعث: إعادة الأرواح إلى الأجساد وأن الحشر: سوق هؤلاء المبعوثين وجمعهم إلى الموقف. قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٧].

خامسا- الحساب والجزاء:

الحساب والجزاء، يعني: وقوف العباد بين يدي الحق تعالى وتعريفهم بأعمالهم التي عملوها، فالمؤمنون المتقون تكون محاسبتهم بعرض أعمالهم عليهم حتى يعرفوا منّة الله عليهم في سترها عليهم في الدنيا، وفي عفوه عنهم في الآخرة، ويحشرون على حسب إيمانهم تستقبلهم الملائكة وتبشرهم بالجنة، وتؤمنهم من الفزع ومن هول هذا اليوم العصيب، فتبيّض وجوههم فهي يومئذٍ مسفرة ضاحكة مستبشرة.

وأما المجرمون فيحاسبون محاسبة عسيرة دقيقة على كل صغيرة وكبيرة، ويسحبون على وجوههم يوم القيامة إذلالاً لهم جزاءً بما قدمت أيديهم وبما كانوا يكذبون.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١﴾[الحاقة:١٩-٢١]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾[الحاقة:٢٥-٢٦].

وأول من يحاسب يوم القيامة أمة نبينا محمد ﷺ ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب لكمال توحيدهم، وهم الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله: (لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)[١٠٥]، ومنهم الصحابي الجليل عكاشة بن محصن رضي الله عنه.

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله تعالى: الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس من الحقوق: الدماء.

(١٠٥) عليه، صحيح البخاري رقم(٥٧٠٥)، وصحيح مسلم رقم(٢٢٠).

سادسًا- الجنة والنار:

الجنة والنار حق، وهما موجودتان لا تفنيان ولا تبيدان، بل دائمتان، فنعيم أهل الجنة لا ينفد ولا يزول، وعذاب أهل النار لمن حكم الله عليهم بالخلود فيها لا يفنى ولا ينقطع.

الجنة

الجنة: هي دار الكرامة التي أعدها الله للمتقين يوم القيامة، فيها أنهار جارية وغرف عالية وزوجات حسان، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لا يفنى ولا ينفد نعيمها خالدين فيها بلا انقطاع. ومقدار موضع السوط منها خير من الدنيا وما فيها، ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً، وأعظم نعيمها رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم عياناً، قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، وقال تعالى عن خلود أهل الجنة وأنها لا تفنى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[البينة:٨].

في الجنة ما لا عين رأت:

عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: (شهدت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم في آخر حديثه: فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ثم اقترأ هذه الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧])[١٠٦].

تراب الجنة:

عن أبي ذر ﷺ قال: قال ﷺ: (ثم أُدخِلت الجنة، فإذا ترابها المسك)[١٠٧].

أبواب الجنة:

عن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: (في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون)[١٠٨].

---

(١٠٦) صحيح مسلم رقم(٢٨٢٥).

(١٠٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٤٩)، وصحيح مسلم رقم(١٦٣).

(١٠٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٥٧)، وصحيح مسلم رقم(١١٥٢).

حوض الكوثر:

عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال النبي ﷺ: (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه[١٠٩] كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبدا)[١١٠].

مساكن الجنة:

قال الله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾[التوبة:٧٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾[سبأ:٣٧]، وقال الله تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[الزمر:٢٠] قال ابن كثير ﷺ: أخبر عن عباده السعداء أنهم لهم غرف في الجنة، وهي القصور الشاهقة (من فوقها غرف مبنية)، أي: طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات"[١١١].

وقصور الجنة مبنية من الذهب والفضة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (بناء الجنة لَبِنةٌ من ذهب، ولَبِنةٌ من فضة)[١١٢].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون)[١١٣].

تفاضل منازل أهل الجنة:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن أهل الجنة يتراءون[١١٤] أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدريّ الغابر[١١٥] في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: بلى[١١٦] والذي

---

(١٠٩) كيزانه أي أباريقه.

(١١٠) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٦٥٧٩)، وصحيح مسلم رقم(٢٢٩٢).

(١١١) تفسير ابن كثير، ٧/ ٨٠.

(١١٢) مسند الإمام أحمد رقم(٨٧٤٧).

(١١٣) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(٤٨٧٩)، وصحيح مسلم رقم(٢٨٣٨).

(١١٤) يتراءون أي ينظرون. والمعنى أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم. ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ٣٢٧.

(١١٥) الغابر: الذاهب. ينظر: المرجع السابق.

(١١٦) قوله بلى: أي جواب نفي، لـمّا قالوا لا يبلغها غيرهم، فكأنه قال بلى يبلغها رجال غيرهم. ينظر: فتح الباري، لابن

نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين)[١١٧].

من يُغمَس غمسة في الجنة:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ[١١٨] صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط)[١١٩].

أقل أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة:

عن المغيرة بن شعبة ﷺ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أُدخِل أهل الجنة الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلك مَلكٍ من ملوك الدنيا. فيقول: رضيت رب. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك. فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. قال: ومصداقه في كتاب الله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة:١٧])[١٢٠].

النظر إلى رب العزة:

عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم)[١٢١]

حجر، ٦/ ٣٢٨.

(١١٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٥٦)، وصحيح مسلم رقم(٢٨٣١).

(١١٨) يصبغ: أي يغمس. ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٧/ ١٤٩.

(١١٩) صحيح مسلم رقم(٢٨٠٧).

(١٢٠) صحيح مسلم رقم(١٨٩).

(١٢١) صحيح مسلم رقم(١٨١).

النـــار

النار: هـي دار العـذاب أعدهـا الله للكافريـن والعصـاة، فيهـا أشـد العـذاب وصنـوف العقوبات، وخزنتها ملائكة غلاظ شداد، والكفار مخلدون فيها، طعامهم الزقوم وشرابهم الحميم، قال تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[آل عمران:١٣١]، وقال تعالى عن خلود أهل النار وأنها لا تفنى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الأحزاب:٦٤-٦٥].

كبر حجم النار:

عـن عبـد الله بـن مسـعود ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (يؤتـى بجهنـم يومئـذ لهـا سبعون ألف زمـام[١٢٢] مع كل زمـام سبعون ألـف ملـك يجرونهـا)[١٢٣].

قعر جهنم:

عـن أبـي هريـرة ﷺ قـال: (كنـا مـع رسـول الله ﷺ إذ سـمع وجبـة[١٢٤] فقـال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: تدرون ما هذا؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار، حتى انتهى إلى قعرها)[١٢٥].

قوة نار جهنم:

عـن أبـي هريـرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قـال: (نـاركـم هـذه التـي يوقـد ابـن آدم جـزء من سبعين جزءا من حر جهنم. قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها)[١٢٦].

عظم عذاب النار:

عـن أنـس بـن مالـك ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: (يؤتـى بأنعـم أهـل الدنيـا مـن أهـل النـار يـوم القيامـة، فيصبـغ في النـار صبغـة، ثم يقال: يا ابـن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر

---

(١٢٢) الزمام: هو ما يُشدّ به. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للهروي، ٩/ ٣٦١٣.

(١٢٣) صحيح مسلم رقم(٢٨٤٢).

(١٢٤) وجبة: هو صوت السقوط. ينظر: شرح النووي على مسلم، ١٧/ ١٧٩.

(١٢٥) صحيح مسلم رقم(٢٨٤٤).

(١٢٦) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٦٥)، وصحيح مسلم رقم(٢٨٤٣)

بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب)[١٢٧].

ذكر بعض الأعمال ذات العقوبة الخاصة في النار:

الكلمة السيئة:

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق)[١٢٨].

عذاب من شرب الخمر:

عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (كل مسكر حرام، إن على الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال. قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عرق أهل النار. أو عصارة أهل النار)[١٢٩].

الانتحار:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه، فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[١٣٠].

الشرب في آنية الذهب والفضة:

عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)[١٣١].

---

(١٢٧) صحيح مسلم رقم(٢٨٠٧).

(١٢٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٦٤٧٧)، وصحيح مسلم رقم(٢٩٨٨).

(١٢٩) صحيح مسلم رقم(٢٠٠٢).

(١٣٠) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٧٧٨) وصحيح مسلم رقم(١٠٩).

(١٣١) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٦٣٤)، وصحيح مسلم رقم(٢٠٦٥).

ثمرات الإيمان باليوم الآخر

للإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

١- الرغبة في فعل الطاعات والحرص عليها رجاء الثواب.

٢- الرهبة من فعل المعصية أو من الرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٤- أن الإيمان بالبعث أصل سعادة الفرد والمجتمع، فإن الإنسان إذا آمن بأن الله تعالى سيبعثُ الخلق بعد موتهم، ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، ويقتص للظالم من المظلوم فإنه سيستقيم على طاعة الله وسينقطع دابر الشر ويسود الخير في المجتمع، وتعمّ الفضيلة والطمأنينة.

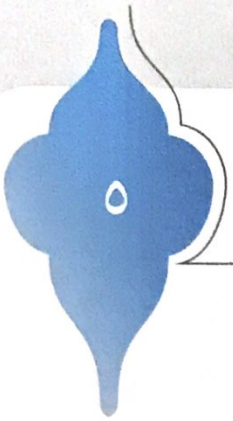

خلاصة الوحدة

١- مقتضى عـدل الله تعالى أن تكـون ثمّة دار أخـرى يجازي فيها المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته .

٢- مقتضى حكمة الله تعالى وجود يوم آخر لأن الإنسان لم يخلق في هذه الدنيا عبثا .

أنشطة الوحدة

١. جمع صفة اليوم الآخر من خلال تدبر جزء عم.

٢. قراءة وتلخيص أبواب في وصف الجنة من كتاب حادي الأرواح لابن القيم.

٣. قراءة وتلخيص أبواب في وصف أحداث اليوم الآخر من كتاب التذكرة للقرطبي.

٤. ما هي الأعمال التي وعد الله سبحانه أو رسوله ﷺ أصحابها بالجنة؟

الوحدة السادسة

الإيمان بالقدر

الوحدة السادسة: الإيمان بالقدر

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الإيمان بالقدر من تمام الإيمان بربوبية الله؛ لأن الإيمان بالقدر يعني الإيمان بعلم الله السابق ومشيئته وكتابته وخلقه.
٢. أنّ الإيمان بالقدر له أربع مراتب: العلم والمشيئة والكتابة والخلق.
٣. أنّ مسألة أفعال العباد عولجت وفق قاعدة الإيمان بالقدر، وهي أن الله تعالى خلق للعباد قدرة وإرادة على الاختيار والفعل للقيام بموجبات التكليف ثم الثواب والعقاب عليها، وأن جميع أفعال العباد المنسوبة لهم لا تخرج عن خلق الله وتقديره.
٤. أنّ أفعال العباد منها ما كان اضطراريا كالرعشة أو السقوط، ومنها ما كان اختياريا كالقيام والقعود والذهاب والإياب ونحوها مما يحصل بإرادة الإنسان، والإنسان محاسب على أفعاله الاختيارية لا الاضطرارية.
٥. أنّ مسألة الاحتجاج بالقدر عولجت وفق قاعدة الإيمان بالقدر، وهي تتعلق بالأحداث التي يحصل بها الاحتجاج، فإن تعلقت الأحداث بمعاصي فإنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعصية؛ لأن المعصية تتعلق بفعل الإنسان الاختياري، وأما إن تعلّقت الأحداث بالمصائب التي تمر بالإنسان جاز الاحتجاج بالقدر لأن المصائب لم تقع باختيار الإنسان وإرادته بل هي أمور اضطرارية يتعرّض لها.
٦. أنّ مسألة الأخذ بالأسباب تبنى على قاعدة الإيمان بالقدر، فما كان للعبد فيه قدرة على الأخذ بالسبب فينبغي له ألا يعجز عن الأخذ به اتكالا على القدر، لأنه لا يعلم القدر إلا بعد وقوعه فليس له ترك السبب لشيء يجهله، وأما ما لم يكن للعبد فيه قدرة على فعل السبب المانع من وقوع الشيء أو الدافع لوقوعه فيجب عليه الرضا بالقدر والتسليم به.
٧. أنّ الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر والتوكل، بل هو جزء منه.
٨. أنّ الإيمان بالقدر يثمر الإخلاص لله والتوكل عليه وإحسان الظن به، ويجعله متزنا لا تبطره نعمة ولا تُقنطه مصيبة، كما يثمر قوة في مواجهة المصاعب بيقين تام مع حسن عمل.

منزلة الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر من الإيمان بربوبية الله سبحانه وتعالى؛ إذ الإيمان به يعني الإيمان بعلم الله السابق ومشيئته وكتابته وخلقه، وكلها أفعال لله تعالى تندرج في توحيد الربوبية. قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر:٤٩]، وقال ﷺ: (كل شيء بقدر حتى العَجْزُ[١٣٢] والكَيْسُ[١٣٣])[١٣٤].

صفة الإيمان بالقدر إجمالاً

الإيمان الإجمالي بالقدر يتضمن أموراً:

الأول: التصديق والإقرار الجازم بأنّ الله تعالى قَدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، وقَدَّر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، وعَلِمَ كل شيء جملة وتفصيلا أزلًا وأبدًا، وهو الذي كتب ما يصيرون إليه من سعادة أو شقاوة، وهو الذي له المشيئة النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو خالق كل شيء وربُّه ومليكُه.

الثاني: التصديق والإقرار الجازم بأن للعباد مشيئة وقدرة يفعلون بها ما أقدرهم الله عليه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩]، مع اعتقاده أن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الإنسان:٣٠].

(١٣٢) العجز: الضعف، ويدخل فيه ضعف البدن وضعف الرأي والتمييز. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير الجزري، ٣/ ١٨٦. وشرح النووي على مسلم، ١٦/ ٢٠٥.

(١٣٣) الكَيْس: ضد العَجْز، ومعناه: الحذق في الأمور المادية والمعنوية. ومن معاني الكياسة: كمال العقل وتمام معرفة المرء للأمور، وتمييز ما فيه النفع مما فيه الضر. ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٤٧٨.

(١٣٤) صحيح مسلم رقم(٢٦٥٥).

صفة الإيمان بالقدر تفصيلاً

الإيمان التفصيلي بالقدر يتضمن أموراً:

أولا- مراتب القدر:

لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق أربع مراتب هي:

أولاً: التصديق والإقرار الجازم بعلم الله الأزلي المحيط بكل شيء. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحج:٧٠].

ثانياً: التصديق والإقرار الجازم بالكتابة في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، وقال النبي ﷺ: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[١٣٥].

ثالثاً: التصديق والإقرار الجازم بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[التكوير:٢٩]، وقال ﷺ لمن قال له ما شاء الله وشئت: (جعلتني لله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده)[١٣٦].

رابعاً: التصديق والإقرار الجازم بأن الله خالق كل شيء. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر:٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات:٩٦].

---

(١٣٥) صحيح مسلم رقم(٢٦٥٣).

(١٣٦) مسند أحمد رقم(٢٥٦١).

ثانياً- أقسام التقدير:

أقسام التقدير بحسب وقت وقوعه هي:

أ- التقدير العام لجميع الكائنات، وهو المكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

ب- التقدير العمري، وهو تقدير كل ما يجري على العبد من نفخ الروح فيه إلى نهاية أجله. وفي الحديث قال النبي ﷺ: (ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد)[١٣٧].

ج- التقدير السنوي، وهو تقدير ما يجري كل سنة، ويحصل ذلك في ليلة القدر من كل سنة. قال تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٤].

د- التقدير اليومي، وهو تقدير ما يجري كل يوم من عزّ وذلّ وعطاء ومنع وإحياء وإماتة وغير ذلك. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩].

ثالثاً- مسألة أفعال العباد:

جميع الأفعال المنسوبة للعباد لا تخرج عن خلق الله وتقديره، وهي تنقسم -من حيث اختيارهم واضطرارهم- إلى قسمين:

النوع الأول: ما يكون للعبد فيها مشيئة واختيار، وهذه تتعلق بفعل العبد ومشيئته واختياره، والله تعالى هو الذي أعطى العباد قدرة على الفعل أو الترك وجعل ذلك إليهم، قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[التكوير:٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[الكهف:٢٩]، فالعباد يُحمدون على المحمود منها ويُذمّون على المذموم.

النوع الثاني: ما ليس للعبد فيها مشيئة واختيار، مثل الإحياء والإماتة والمرض

(١٣٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٠٨)، وصحيح مسلم رقم(٢٦٤٣).

والصحة، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ ﴾[القصص:٦٨] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾[آل عمران:٦].

والله تعالى لا يعاقب على النوع الثاني، وهو الأمر الاضطراري، وإنما يعاقب العبد على النوع الأول وهو الأمر الاختياري، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[ق:٢٩].

والإنسان يعرف الفرق بين الاختيار والاضطرار، فينزل من السطح بالسلم نزولاً اختيارياً، وقد يسقطه غيره من السطح، فالأول اختيار والثاني إجبار.

فإذا آمن العبد فهو بمشيئته وإرادته، وإذا كفر فهو كافر بمشيئته وإرادته، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩].

رابعاً- مسألة الاحتجاج بالقدر:

الأحداث التي يحصل فيها الاحتجاج بالقدر نوعان:

النوع الأول: الاحتجاج بالقدر على المعاصي

يعني أن يفعل أحدهم المعصية ويحتجّ بأنّ فعْلها من قَدَر الله، أو يترك أحدهم الطاعة ويحتج بأن ترْكها من قَدَر الله.

فنقول لمن يحتج بالقدر: إن من المشاهَد المحسوس أن لك إرادةً، تستطيع أن تحصّل مطلوباتك بها، فتأكل وتشرب مثلا، ولم تترك الطعام والشراب اعتمادا على القدر، بل سعيت في تحصيلهما وتناولهما، فما الفرق بين الطعام والشراب وبين غيرهما من الأعمال الصالحة.

ونقول أيضا: إن من المشاهَد المحسوس أن لك إرادةً، تستطيع أن تبتعد عن مكروهاتك بها، فتبتعد عن النار مثلا، ولم تترك الابتعاد عنها اعتمادا على القدر، بل سعيت في تجنبها والابتعاد عنها، فما الفرق بين النار وبين غيرهما من المعاصي والآثام.

ونقول أيضا: لو جاز لأحد أن يحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات أو ما يترك من الواجبات لم يُعاقب ظالم، ولم يُقوّم حدّ، ولم يُكف أحدٌ عن ظلم، وهذا من الفساد في الدين والدنيا.

وأما الاحتجاج بعلم الله السابق: فصحيحٌ أنّ الله تعالى له العلم السابق، ولكن لا يعلم الغيب إلا هو، وذلك معلومٌ لله تعالى، ومجهولٌ للمكلّفين، فلا يدري المكلّف ما هو قدر الله قبل وقوعه، لذلك قال ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له فمن كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:٥-١٠]) [١٣٨].

النوع الثاني: الاحتجاج بالقدر على المصائب

يجوز الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب والذنوب، فإذا نزلت به مصيبة يحسن أن يقول: "قدر الله وما شاء فعل"، لقول رسول الله ﷺ: (وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) [١٣٩].

والفرق بين الاحتجاج بالقدر في النوع الأول والثاني: أن المعاصي من اختيار العبد؛ فلا يحتجّ بالقدر عليها لأن له اختيارا وإرادة، وأما المصائب فليست من اختيار العبد، بل هي من الأمور الاضطرارية التي تقع عليه، فلا مانع أن يحتجّ بالقدر فيها.

خامساً- مسألة الأخذ بالأسباب:

ما يعرض للعبد من الأمور -من حيث قدرته على عمل شيء تجاهه- نوعان:

النوع الأول: ما كان للعبد فيه قدرةٌ على عمل شيء تجاهه، فينبغي أن لا يعجز عن العمل، ويستعين بالله في فعل المأمور واجتناب المحذور، ويتوكل على الله.

---

(١٣٨) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(٤٩٤٩)، وصحيح مسلم رقم(٢٦٤٧).

(١٣٩) صحيح مسلم رقم(٢٦٦٤).

فإذا قصّر العبد بإهمال الأسباب والوسائل التي تجنبه الوقوع في مشكلة ما: فإنه ملام على تقصيره في حماية نفسه وعدم استعماله للأسباب الطبيعية التي تحفظه؛ لأن الأخذ بالأسباب لا ينافي القدر والتوكل بل هو جزء منه، ولأنّ سبيل المكلف هو الأخذ بالأسباب المشروعة ومدافعة الأقدار بالأقدار، فالأنبياء أخذوا بالأسباب والوسائل التي تحفظهم من عدوهم مع أنهم مؤيدون بالوحي والحفظ من الله، وكان رسول الله ﷺ سيد المتوكلين يأخذ بالأسباب مع قوة توكله على ربه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[الأنفال:٦٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

النوع الثاني: ما لم يكن للعبد فيه قدرة على عمل شيء تجاهه، كوفاة قريب من أقربائه مثلا، فإذا وقع القدر وجب الرضا به والتسليم له؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فينبغي لكل مؤمن أن يرضى بقضاء الله؛ لأن فعل الله وقضاءه خيرٌ كلّه وعدلٌ وحكمةٌ، فمن اطمأنت نفسه ورضي بالقضاء والقدر؛ خلت نفسه من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب، فلا يحزن على ما فاته، ولا يتهيب من مستقبله، ويكون بذلك أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفساً وأهدأهم بالاً، لأن ما حصل له من خير أو شر لا يجاوزه إلى غيره، وما لم يحصل له من خير أو شر فلن يصل إليه لأن الله لم يقدّره له، قال ﷺ: (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك)[١٤٠].

وقد جمع النبي ﷺ موقف المسلم من هذين النوعين في حديث واحد فقال: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز[١٤١]، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان[١٤٢])[١٤٣].

---

(١٤٠) مسند أحمد رقم(٢١٥٨٩).

(١٤١) هذا هو النوع الأول.

(١٤٢) هذا هو النوع الثاني.

(١٤٣) صحيح مسلم رقم(٢٦٦٤).

ثمرات الإيمان بالقدر

من عرف أن أجله محدود ورزقه معدود -فلا الجبن يزيد في عمره، ولا الشحّ يزيد في رزقه-، صبر على ما أصابه من المصائب، واستغفر لما فعله من الذنوب والمعائب، ورضي بما قدره الله، فيجمع بذلك كله بين طاعة الشرع وبين الصبر على المصائب، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن:١١].

وللإيمان بالقضاء والقدر ثمار طيبة وآثار حسنة، تعود على الأمة والفرد بالصلاح، فمنها:

أ- أنه يثمر أنواع العبادات الصالحة والصفات الحميدة، كالإخلاص لله، والتوكل عليه، والخوف منه والرجاء وإحسان الظن به، والصبر وقوة الاحتمال، ومحاربة اليأس، والرضا بالله، وإفراد الله بالشكر والفرح بفضله ورحمته، والتواضع لله ﷻ، وترك الكبر والخيلاء، ويثمر الإنفاق في أوجه الخير ثقة بالله، والشجاعة والإقدام، والقناعة وعزة النفس، وعلو الهمة، والحزم، والجد في الأمور، والاعتدال في السراء والضراء، والسلامة من الحسد والاعتراض، وتحرير العقول من الخرافات، وراحة النفس وطمأنينة القلب.

ب- أنه يجعل المؤمن بالقدر يمضي في حياته على منهج سوي، فلا تبطره النعمة، ولا ييأس بسبب المصيبة، ويستيقن أن ما أصابه من ضراء فبتقدير الله ابتلاءً له، فلا يجزع بل يصبر ويحتسب.

ج- أنه يحمي من أسباب الضلال وسوء الخاتمة، إذ يثمر له المجاهدة الدائمة على الاستقامة والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والموبقات.

د- أنه يثمر للمؤمنين مواجهة المصاعب والأهوال بقلب ثابت ويقين تام مع فعل الأسباب، قال ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[١٤٤].

---

(١٤٤) صحيح مسلم رقم(٢٩٩٩).

٦

خلاصة الوحدة

الأصل في الإيمان بالقدر تربية المؤمن وتعزيز السلوك الإيجابي الذي يجعله يحسن الاختيار والعمل إذا كان بيده الاختيار، ويقف عند ما ليس له فيه يد موقف تسليم ورضا وخضوع وانقياد.

أنشطة الوحدة

١. هل الإنسان مسير أم مخير؟

٢. رأيتَ شخصًا يدخّن، ولما نصحته بترك التدخين، رد بأنّ الله قدّر عليه أن يدخن. تحت أي مسألة من مسائل الإيمان بالقدر تمت معالجة مثل هذه المقولة؟ وكيف ترد عليها؟

٣. رأيت شخصا لا يريد أن يقوم بتربية أولاده، ولما نصحته بتربيتهم، رد بأن الهداية من الله، ولن تستطيع تغيير أي شيء. تحت أي مسألة من مسائل الإيمان بالقدر تمت معالجة هذه المقولة؟ وكيف ترد عليها؟

٧ | الوحدة السابعة

نواقض الإيمان

الوحدة السابعة: نواقض الإيمان

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الإيمان مثلما أنه يزيد وينقص هو كذلك ينقطع ويزول بالكلية في حال وقع صاحبه بأي من نواقض الإيمان.
٢. أنّ من نواقض الإيمان ما يتعلق بالعقيدة وعمل القلب ومنها ما يتعلق بالعبادة وعمل الجوارح.
٣. أنّ الشرك بالله أول نواقض الإيمان وهو يشمل شرك الربوبية وشرك العبادة.
٤. أنّ السب والاستهزاء بالله أو دينه الحق من نواقض الإيمان وهو يتضمن كل قول وفعل قُصد به الانتقاص والاستخفاف، لأن الإيمان بالله يبنى على التعظيم.
٥. أنّ النفاق الاعتقادي من نواقض الإيمان وأن من أظهر إيمانه وأبطن كفره يستوي مع الكافر في الكفر لفساد النية والإخلاص.
٦. أنّ السحر ناقض من نواقض الإيمان لأنه استعانة بالشيطان على الصرف أو العطف وعدوان على المسلمين وإيذاء لهم، ومن فعله ورضي به فقد كفر.
٧. أنّ ادعاء علم الغيب ناقض من نواقض الإيمان وحكم مدعي الغيب حكم الكافر لأن علم الغيب من خصائص الربوبية وادعاء العلم به كذب وكفر بالله.
٨. أنّ إنكار المعلوم من الدين بالضرورة كالصلاة والزكاة وتحريم الربا والزنا وكل ما تواترت على ثبوته النصوص وأجمع عليه العلماء من نواقض الإيمان.
٩. أنّ اعتقاد أنّ غير هدي النبي محمد ﷺ أكمل من هديه ناقض من نواقض الإيمان.
١٠. أنّ بغض شيء مما جاء به النبي ﷺ ناقض من نواقض الإيمان .
١١. أنّ عدم تكفير المشركين واليهود والنصارى ناقض من نواقض الإيمان .
١٢. أن مظاهرة المشركين وموالاتهم على المسلمين ناقض من نواقض الإيمان.
١٣. أنّ اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن الشريعة ناقض من نواقض الإيمان.
١٤. أنّ الإعراض عن دين الله والامتناع عن تعلم ما يكون به المرء مسلما ناقض من نواقض الإيمان.
١٥. أن نواقض الإيمان يقابلها الغلو في التكفير ،الذي يعني إخراج من هو من أهل الإيمان من الإيمان إلى الكفر وهذا يخالف منهج الإسلام القائم على الوسطية ونبذ الغلو والتطرف في الحكم على عصاة المسلمين .

تعريف النواقض

النقض: ضدّ العقْد والإبرام، ويعني: الحل، والإزالة، والإبطال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[النحل:٩٢].

وفي الاصطلاح: اعتقادات أو أقوال أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه.

فمن النواقض ما يتعلق بالعقيدة وعمل القلب، ومنها ما يتعلق بالعبادة وعمل الجوارح، وسمّيت نواقض؛ لأن المسلم إذا فعل واحدة منها انتقض إسلامه، وخرج من ملة الإسلام.

نواقض الإيمان

١- الشرك بالله:

يشمل شرك الربوبية، أو شرك العبادة، وهو من أعظم نواقض الإيمان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:١١٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢].

ومنه صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، حتى لو زعم أنه يتخذهم وسائط وشفعاء بينه وبين الله. قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[الزمر:٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[يونس:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧].

٢- السب والاستهزاء بالله تعالى أو كتبه أو رسله أو دينه:

يتضمّن كل قول أو فعل يُقصد منه الانتقاص والاستخفاف، لأن الإيمان بالله يُبنى على التعظيم والإجلال له سبحانه ولآياته ورسله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا

نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾[التوبة:٦٥].

وقد ذكر الله تعالى حال المستهزئين الساخرين بأشرٍّ ما ذكر به قومًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[المطففين:٢٩-٣٦].

وقد نَهَى الله تعالى عن مُجَالَسة المستهزئين، وذكر أنَّ مَنْ جلس معهم فهو مثلهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[النساء:١٤٠].

٣- النفاق الاعتقادي (الأكبر):

يعني إظهار الإسلام وإبطان الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء:١٤٥]، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٣].

٤- السِّحر:

ومنه الصَّرْف والعَطْف، فمَن فعله أو رضي به كَفَر؛ قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٠٢].

أما الصَّرْف: فهو صَرْف الرجل عمَّا يهواه؛ كصَرْفه مثلًا عن محبَّة زوجه إلى بغضها، والعَطْف: عكسه فهو عَطْفُ الرجل عمَّا لا يهواه إلى محبَّته، والسِّحر بجميع طُرُقه محرَّمٌ في جميع الشرائع.

٥- ادّعاء علم الغيب:

هو كفر مخرج عن الملة، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

ومن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل -غير من استثناه الله من رسله- فهو كاذب كافر، سواء ادعى ذلك بواسطة قراءة الكف أو الفنجان أو الكهانة أو السحر أو التنجيم أو ادعى حصول الشيء الفلاني في البرج الفلاني أو غير ذلك.

فمن سأل المنجم أو الكاهن وصدّقه كفر بالله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد)[١٤٥]. وإن لم يصدقه فكما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[١٤٦].

والقارئ لـ "أبراج الحظ" في الجرائد والمجلات، والمشاهد لها في القنوات: إن اعتقد أن النجوم والأفلاك والكواكب تؤثر في الخلق وأفعالهم بنفسها: فهو مشرك في أبواب الربوبية؛ لأن الله ﷻ هو المنفرد بالخلق والتدبير سبحانه، وإن لم يعتقد ذلك فهو آثم، وعليه فإن أبراج الحظ يحرم نشرها والنظر فيها وترويجها بين الناس، بل يجب الحذر من ذلك، والتواصي بتركه، والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، والتوكل عليه في كل الأمور.[١٤٧]

٦- إنكار المعلوم من الدين بالضرورة:

المقصود به: إنكار ما كان ظاهراً متواتراً من أخبار الدين كأركان الإيمان، أو ما كان ظاهرا متواترا من أحكام الدين معلوماً عند الخاص والعام، مما أجمع عليه العلماء إجماعاً قطعياً مثل وجوب أحد مباني الإسلام كالصلاة والزكاة ونحوهما، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة مثل: الربا والزنا والخمر وغيرها.

---

(١٤٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم رقم(١٥) وقال: حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٤٦) صحيح مسلم رقم(٢٢٣٠).

(١٤٧) ينظر: الفتوى رقم(١٦٦٩٤) من فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية، ٢٠٣/١، جمع وترتيب أحمد الدويش.

ومما يلحق بهذا الإنكار -في الحكم بالكفر-: أن يعترف أحدهم بحكم معلوم من الدين بالضرورة لكنه يعلن عدم قبوله له، ويأبى أن يذعن لله تعالى، ويرفض الانقياد عناداً واستكباراً، فمناط الكفر - هاهنا - هو الترك والرد والإباء، لا عدم التصديق، ولهذا قرن الله تعالى في كتابه كفر التولي بكفر التكذيب؛ كما قال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾[القيامة:٣١-٣٢]. وقال تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦﴾[الليل:١٥-١٦].

ومن الأدلة التي جعلت إنكار حكم معلوم من الدين بالضرورة كفراً وناقضاً من نواقض الإيمان:

أ- أن هذا الإنكار افتراءٌ على الله سبحانه، ولا أحد أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً ممن افترى على الله تعالى كذباً، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢١﴾[الأنعام:٢١].

ب- أن هذا الإنكار اعتراضٌ على شرع الله تعالى، ومشابهة للمشركين القائلين إنما البيع مثل الربا، فحقيقة الرضا بالله تعالى رباً يتضمن الإقرار بأمره الشرعي والكوني، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾[الأعراف:٥٤].

ب- أن هذا الإنكار تكذيب وجحود لآيات كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[العنكبوت:٤٧].

جـ- أن هذا الإنكار طعنٌ في مقام الرسالة لأنه تكذيب ظاهر للأحاديث الصريحة الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

د- أجمع العلماء على تكفير من أنكر حكماً معلوماً من الدين بالضرورة، وقد حكى هذا الإجماع عدد كثير من أهل العلم، منهم القاضي عياض رحمه الله قال: "وكذلك أجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل، أو شُرب الخمر، أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه"[١٤٨].

(١٤٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، ٢/١٠٧٣.

٧- اعتقاد أنَّ غير هدْي النبيِّ ﷺ أكْمَلُ من هدْيه:

من اعتقد أنَّ غير هدْي النبيِّ ﷺ أكْمَلُ من هدْيه، أو أنَّ حُكْمَ غيره أحسنُ من حُكْمه فهو كافر؛ كالذي يفضِّل حكمَ الطواغيت على حُكْمه، ومن أمثلة ذلك الذين يقولون: إنَّ إنفاذَ حُكْم الله في رجم الزَّاني المحصَن، أو قطع يد السَّارق لا يناسب هذا العصر الحاضر؛ لأنَّ زماننا قد تغيَّر عن زمن النبيِّ ﷺ أو أن غيره من الأحكام مثله أو أفضل منه؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء:٦٠].

٨- بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ:

مَن أبغض شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كَفَرَ، وهذا باتِّفاق العلماء، وقد نال المنافقون النَّصيب الأكبر من هذه الخَصْلة، وهم يعملون ببعض شرائع الإسلام الظاهرة؛ ولكنهم في الخفاء يُضمِرون البُغض والكراهية لشريعة الإسلام وأهلها، ويتربَّصون بهم الدَّوائر.

وقد حَكَمَ الله على مَنْ كره شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ بالكفر والضَّلال، وأنَّ أعمالهم باطلةٌ مردودةٌ؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٨-٩].

فكلُّ مَنْ كره ما أنزل الله فعمله حابِطٌ، وإن عمل بما كره؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد:٢٨].

٩- عدم تكفير المشركين واليهود والنصارى:

من لم يكفِّر المشركين أو اليهود أو النصارى أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر؛ لأن الله ﷻ كفَّرهم في آيات كثيرة، وَأَمَرَ بالبراءة منهم؛ لافترائهم الكذبَ عليه، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[التوبة:٣٠].

١٠- مظاهرة المشركين وموالاتهم على المسلمين عن رضا واختيار:

والدَّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

١١- اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن الشريعة:

مَن اعتَقَدَ أنَّ بعض الناس يسَعُه الخروجُ عن شريعة النبيِّ ﷺ فقد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام؛ لأنه مُكَذِّبٌ لقَوْل الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ولأنه مكذب بعموم رسالة النبي ﷺ للثقلين جميعا.

فمن رغب الخروج عن شريعة النبيِّ ﷺ أو ظَنَّ الاستغناء عنها؛ فقد خَلَعَ ربقة الإسْلام من عُنُقه. وعيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان لا يأتي بشرع جديد؛ بل يكون متَّبعًا لشريعة النبيِّ ﷺ، فشريعته عليه الصلاة والسلام باقيةٌ إلى يوم القيامة، وعامَّةٌ لجميع الناس؛ ولا يَسَعُ أحدًا الخروج عنها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [ال عمران:١٩].

١٢- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

المراد به: هو الامتناع عن تعلُّم أصل الدِّين، الذي يكون به المرء مُسلمًا.

فيعرض عن دين الله، لا يتعلَّمه، ولا يعمل به؛ قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨﴾ [النور:٤٧-٤٨].

الغلو في التكفير

يعني: الحكم على أفراد من المسلمين بالكفر، وإخراجهم من دائرة الإيمان بسبب ذنوب اقترفوها ظن المكفِّر لهم بأنها مبطلة وقاطعة لإيمانهم، في حين أنها لم تصل لدرجة الكفر.

وقد دلت نصوص من القرآن والسنة على خطر هذا المسلك المغالي، وحذّرت من تكفير المسلم، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)[١٤٩]. ومعنى الحديث أن إثم التكفير يرجع على من أطلقه بغير حق، وليس المراد أنه قد خرج من الملة[١٥٠].

ومردّ تكفير المسلم العاصي يعود إلى التطرف الذي يلازم المغالي فينحرف في النظر والحكم وتقدير الأمور.

وهذا يخالف منهج الإسلام القائم على نبذ الغلو والتطرّف وإشاعة روح التآلف والتناصح، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩].

والذين يقعون في التكفير أو إحدى نواقض الإيمان إنما وقعوا فيها نتيجة الغلو ومجاوزة الحد المتعلق بالنظرة للدين، أو النظرة للدنيا، والذي أدخلهم أحدَ بابين:

- إما المُغالاة والتشدّد في الدين والغلو والتطرّف الذي أوقع صاحبه في التكفير بإخراج من لا ينطبق عليه وصف الكفر من الإيمان.

- وإما المُجافاة وإهمال الدين للحد الذي يوقع صاحبه إلى اعتقادٍ أو سلوك يخرجه عن دائرة الإيمان على وجه الحقيقة؛ نتيجة تفريطه في أمور الآخرة.

---

(١٤٩) صحيح البخاري رقم(٦١٠٣)، وصحيح مسلم رقم(٦٠).

(١٥٠) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢/ ٥٠.

٧

خلاصة الوحدة

الذين يقعون في التكفير أو أحد نواقض الإيمان إنما وقعوا فيها نتيجة الغلو ومجاوزة الحد في النظر للدين والدنيا فهم بين طرفين إما مغالاة وتشدد يوقع في تكفير من لا ينطبق عليه وصف الكفر ، وإما مجافاة وإهمال يوقع صاحبه في اعتقادات أو أعمال تخرجه من دائرة الإيمان نتيجة تفريطه في أمور الآخرة وعلوم الدين .

أنشطة الوحدة

صل بين الدليل وما يدل عليه من نواقض الإيمان:

قال تعالى: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا)	اعتقاد أنَّ غير هدْيِ النبيِّ ﷺ أكْمَلُ مِن هدْيِه
قال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا).	الشرك
قال تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ).	السب والاستهزاء بالله تعالى أو كتبه أو رسله أو دينه
قال تعالى: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم).	بغض شيء مما جاء به الرسول ﷺ
قال تعالى: (فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى)	الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به
قال تعالى: (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون)	إنكار المعلوم من الدين بالضرورة

القسم الثاني ٢

العبادة، حقيقتها وطريقها

ويشمل:

الوحدة الأولى: حقيقة العبادة.

الوحدة الثانية: محركات العبادة.

الوحدة الثالثة: قبول العبادة.

الوحدة الرابعة: رأس العبادة.

الوحدة الخامسة: الصوارف عن العبادة.

الوحدة السادسة: التفريط في العبادة.

القسم الثاني: العبادة، حقيقتها وطريقها

يهدف هذا القسم إلى :

تعريف الطالب والطالبة بحقيقة العبادة وأهميتها، وارتباطها اللازم بالعقيدة والإيمان، كما يسعى لأن تكون العبادة الخالصة لله هي مدار حياته كلها، بحيث تتحوّل العبادة عنده إلى واقع عملي يصبغ حياته بالطاعة والعبودية له تعالى، وذلك من خلال عدد من المحاور يتعرّف فيها على أنّ:

١. الغاية من خلق الإنسان تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.
٢. عبثية الخلْق فرضية ابتدعها الفكر المادي الذي لا يُقر في الكون بعقيدة ولا إله.
٣. النظر في أسماء الله تعالى وصفاته والتعبّد له من خلالها يُحفّز المؤمن للاستزادة من الطاعة والعبادة؛ لأنها تُعرّفه بالله وبآياته في الكون.
٤. العبادة الصحيحة لله ترتكز على ثلاثة أركان هي: الحب والرجاء والخوف، يتنقّل بينها العبد في طريق تعبّده لله دون أن يطغى منها جانب على آخر.
٥. العبادات تتنوّع ولا تقتصر على قول أو فعل معيّن، وكل قول وفعل خالص صالح أريد به وجه الله داخل في مفهوم العبادة.
٦. استصغار صغائر المعاصي يجرّ إلى الكبائر منها.
٧. الاغترار بالعبادة من مفسدات العمل.
٨. من الممكن اجتناب المعاصي باتّباع الوسائل المعينة على تركها.
٩. للمعاصي مكفّرات ينبغي للمسلم الحرص عليها.
١٠. الشيطان والنفس الأمارة بالسوء وفتنة الدنيا ورفاق السوء من الصوارف التي تشغل المؤمن عن العبادة والطاعة.

أهمية العبادة تظهر إذا عرفنا ارتباطها الكبير بالعقيدة والإيمان؛ فالعقيدة هي ما يجزم بها الإنسان، وهي تُشير إلى انعقاد القلب على أمر حصل به عند صاحبه جزْم وإيمان ولم يخالط ذلك الجزم ولا الإيمان أدنى شك أو ريبة.

ومثلما أنّها تشير إلى ما ينعقد في قلب صاحبه، فإنّها كذلك تؤثّر في سلوكه وعلاقاته وتصوراته وأحكامه؛ فما يعتقده حقيقة ستظهر آثاره عليه، لأنّ الاعتقاد يؤثر على صاحبه سلبًا أو إيجابًا بحسب نوع وصحة المعلومة ودليلها.

فالإيمان إذا استقرّ في النفس قناعةً، وحَلّ في القلب شعورًا وإرادة، لا بدّ وأن يظهر في السلوك قولاً وعملاً، فلا بدّ وأن يرتبط العمل بما استقر في القلب من إيمان، ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات:١٠]، وقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[المنافقون:١].

والعقيدة الإسلامية تضبط تصرفات المسلم وتوجّه سلوكه، فهي كالميزان الذي يزن العبد به أعماله ويحكم عليها، وهو من خلالها رقيبٌ على نفسه، وهو الحاكم والموجّه لها، لذلك نجد المسلم يحرص على مراقبة نفسه ومجاهدتها، حيث إنه أعرف الناس بها، ولذلك يقول الله تعالى في معرض إنكاره على معاذير العباد يوم القيامة: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة:١٤].

والعقيدة في مفهومها اللُغوي[١٥١] تؤكد ارتباط الإيمان بالعبادة وتشكُّلها في عُقدة واحدة كعُقدة الحبل التي تربط بين طرفيه؛ فالعبادة تنعقد على الإيمان انعقاد طرَفي الحبلِ ببعضهما البعض.

ولذلك فإن الإيمان يستلزم العبادة، والعبادة متضمّنة في الإيمان، وعلى نحو هذا أيضًا تتضمّن الربوبيةُ -التي تعني إثبات وجود الرب وأنه الخالق- الألوهيةَ -التي تعني حصول ما يستلزم هذا الإثبات من العمل الصالح-.

(١٥١) العقد: هو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والشد والإبرام والإحكام. ينظر: القاموس المحيط، ص٣٨٢. ولسان العرب، ٩/ ٣٠٩.

الوحدة الأولى

حقيقة العبادة

الوحدة الأولى: حقيقة العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ العبادة حق لله تعالى على خلقه وتحقيقها هو الغاية من الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب.
٢. أنّ إثبات ربوبية الله تتضمن حصول ما يستلزم هذا الإثبات من العبودية لله والعمل الصالح.
٣. أنّ الله تعالى لم يخلق هذا الوجود عبثا من غير حكمة؛ لأنّ العبثية تُنفى حتى عن تصرفات عقلاء البشر فضلا عن حكم أحكم الحاكمين.
٤. أنّ الله تعالى أجاب عن حكمة الخلق من خلال رسله الذين أنزل معهم الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى للعالمين.
٥. أنّ الخلق محتاجون لله تعالى والله تعالى لم يخلقهم وهو محتاج إليهم، وإنما خلقهم لغاية وحكمة، وأراد لهم الفوز بما هو أعلى وأكمل من الحياة الدنيا.
٦. أنّ للعبادة ركنين هما كمال الحب لله مع كمال الذل.
٧. أنّ من مصطلحات العبادة: الطاعة والعمل الصالح والاستقامة.
٨. أنّ للعبادة أشكالا هي: قول القلب، وقول اللسان،وعمل القلب،وعمل الجوارح.
٩. أنّ العبادة تشمل كل عمل صالح ينوي به العابد وجه الله ولا تنحصر في الشعائر التعبدية.
١٠. أنّ النية تؤثر في العمل وهي شرط لصحته وقبوله وشرط لحصول الثواب.
١١. أنّ النية الصالحة تحوّل العادات لعبادات.
١٢. أنّ الله تعالى وصف نبيه بالعبودية في أرفع مقاماته على سبيل الثناء عليه.
١٣. أنّ من استكبر عن عبودية الله تعالى فإنه سيكون في هذه الدنيا عبدا لغيره من المخلوقات، ومن زعم أنه لا يعبد شيئا فهو في واقع الأمر يعبد هواه.

حكمة الخلق

حينما يتأمل الإنسان في خلق الله للسماوات والأرض وعظمة خلقهما، وفي خلق الله للإنسان ودقة صنعه، وفي خلق الله لكل ما حولنا وترتيب نظامه، وفي تدبير الله ورزقه وصنعه وإحكامه، سوف يقوده هذا التأمل إلى سؤال كبير: لماذا كلُّ هذا؟ ومن الطبيعي أن يسأل الإنسان: لماذا؟

فلو قمت بعمل صغير جدا؛ مثل رسم لوحة، أو قراءة كتاب، أو قيادة السيارة في طريق؛ لكان من الطبيعي أن يكون هناك سبب لذلك، ولهذا يسألك من حولك: لماذا تفعل هذا الشيء؟

فكيف إذا كان العمل كبيراً، مثل بناء برج ضخم؛ فإن السؤال يكون أكثر إلحاحاً، ولا يقبل العقلاء أن يكون هذا الفعل بدون سبب! لأن الإجابة بعدم وجود سببٍ هو عبثٌ يأباه العقلاء في فعل صغير، فضلاً عن فعل كبير.

فكيف بخلق هذا الكون الفسيح العظيم الكبير، المترامي الأطراف، المتسع الأنحاء، الدقيق التفاصيل؟ وكيف إذا كان الخالق لهذا الكون هو الحكيم الذي اتصف بغاية وكمال الحكمة؟ لا شك حينئذٍ أن سؤال: (لماذا؟) يزداد إلحاحاً، ولا شك أن إجابة العبثية تزداد بُعْداً.

والعبثية تُنفى عن تصرفات عقلاء البشر؛ فكيف بأحكم الحاكمين سبحانه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝١١٦﴾[المؤمنون:١١٥-١١٦].

والمعنى: أفَحَسِبْتُمْ أيها الخلق أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ سدى وباطلا، تأكلون وتشربون وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟[١٥٢].

ولأن الله تعالى هو الخالق؛ فقد أجاب عن حكمة الخلق بإجابةٍ وصلتنا عن طريق رسله

(١٥٢) تفسير السعدي، ص٥٦٠.

الذين بعثهم لتبليغ وحيه. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[الأعراف:٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[الأعراف:٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[الأعراف:٨٥].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات:١٥-١٩].

وعن عيسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[آل عمران:٥٠-٥١].

وكذلك جاء رسولنا الكريم محمد ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١].

وكل الرسل قد بعثهم الله بهذه الإجابة الواحدة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥].

والله تعالى لم يخلق الخلق وهو محتاج إليهم، بل هو الغني عنهم وهم المحتاجون إليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

معنى العبادة وأركانها

العبادة لغة: التذلل، فيقال مثلاً: الطريق معبدٌ؛ إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام. ويقال: بعير معبّد؛ إذا خضع لصاحبه.(١٥٣)

وإذا جاء لفظ العبادة وصفاً للفعل الصادر من الإنسان تجاه معبوده؛ كأن يقال: (عبدَ فلانٌ ربَّه)؛ فإنه يعني ذلَّ الظاهر والباطن، وبيانُ ذلك: أن الإنسانَ قد يذلّ لغيره من البشر ويخضع لهم لأمور ظاهرةٍ، مثل تهديدهم له بالسلاح مثلا، أو ترغيبهم له بالمال، أو غير ذلك، ولا تسمى طاعته لهم حينئذٍ "عبادةً"؛ بل ربما كان مطيعاً في هذه الحال مع بغضٍ وإكراهٍ لهم.

وأما ذُلّ الظاهر والباطن الذي يسمى عبادةً؛ فهو الذي يجمع معه: المحبة، فلا يسمى العبد عابداً لله إلا باجتماع كمال الذل مع كمال الحب؛ فمن ذلّ لغيره دون محبة فليس عابدا، ومن أحب غيره دون ذل وخضوع فليس عابدا، ولا يكون عابدا إلا باجتماع كمال الذل وكمال الحب.

فللعبادة ركنان هما:

الركن الأول: كمال الحب.

الركن الثاني: كمال الذل.

قال ابن تيمية رحمه الله: العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له عز وجل(١٥٤).

وقال ابن كثير: "العبادة في الشرع: عبارة عمّا يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"(١٥٥).

---

(١٥٣) العبودية، لابن تيمية، ص٤٤.

(١٥٤) المرجع السابق.

(١٥٥) تفسير ابن كثير، ١/٢٥.

مرادفات العبادة في القرآن الكريم

لمصطلح العبادة مرادفات في القرآن تُعبّر عن معناه، منها:

١- الطاعة:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]،

وقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

٢- العمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

٣- الاستقامة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠]،

وقال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢].

حُكم العبادة

العبادة حق لله تعالى على خلقه، وتحقيقها هو الغاية من الخلق، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال ﷺ: (حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)(١٥٦).

ولا أحد يخرج عن مقام العبودية تحت أي دعوى لا بدعوى الولاية، ولا بدعوى وصول اليقين، ولا مَلَكٌ مقربٌ، ولا نبي مرسلٌ، بل الجميع عبيدٌ مربوبون لله، وقد كان رسول الله ﷺ خاضعا متعبدا لله حتى قبضه الله على ذلك، وهو خير البشرية.

---

(١٥٦) مسند أحمد رقم(١٣٧٤٢).

أشكال العبادة

أشكال العبادة تتمثل في "كل ما يحب الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"(١٥٧).

قال ابن القيم رحمه الله: "وبُني (إياك نعبد) على أربع قواعد: التحقُّق بما يُحبُّه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب (إياك نعبد) حقًا هم أصحابها.

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رُسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذَّبُّ عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكُّل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه، وعلى أقداره، والرضا به وعنه والموالاة فيه والمعاداة فيه، والذل له والخضوع، والإخبات إليه والطمأنينة به وغير ذلك من أعمال القلوب التي فَرضُها أفرضُ من أعمال الجوارح، ومستحبُّها أحبُّ إلى الله من مستحبِّها، وعمل الجوارح بدونها إمَّا عديم المنفعة أو قليلها.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، وشهود الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك"(١٥٨).

---

(١٥٧) العبودية، لابن تيمية، ص٤٤.

(١٥٨) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/ ١٢١.

شمولية العبادة

العبادة ليست محصورة على الشعائر التعبدية الخالصة، بل هي تشمل عدة مجالات، منها:

١ التشريعات المالية المتعلقة بالمعاملات الاقتصادية كإباحة البيع، وتحريم الربا، وتحريم الغرر

٢ التشريعات المتعلقة بتحريم الفساد في الأرض والرشوة، ووجوب الحكم بما أنزل الله.

٣ - التشريعات المتعلقة بمظاهر الترف والاستمتاع؛ مثل تحريم الخمر والميسر، والتبذير.

٤ - القيام بما أمر الله به من تبليغ الدين وتعليمه للناس.

٥ التحلي بالأخلاق الرفيعة: كالرحمة والأمانة والوفاء بالعهد والصدق والصبر وبر بالوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران واليتامى، والرفق بالحيوان.

وهذا المفهوم الشمولي للعبادة هو الذي فهمه الصحابة ﷺ ومن بعدهم من السلف. قال معاذ بن جبل ﷺ: "لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي"(١٥٩).

قال ابن تيمية رحمه الله: "فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من

(١٥٩) صحيح البخاري رقم(٤٣٤١).

الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله"[١٦٠].

أثر دخول النيّة على الأعمال

النية الصالحة مؤثرة في العمل، وهي:

١- شرط لصحة العمل وقبوله: إذا كان عبادة خالصة؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج والطواف وقراءة القرآن.

٢- شرط لحصول الثواب: إذا كان العمل من الأعمال الدنيوية. وأعمال الإنسان العادية كالنوم والأكل والشرب والتجارة والكسب تكتسب صفة العبادة إذا قصد بهذه الأعمال وجه الله ومرضاته، وكانت في سبيل تحقيق أهدافها المقصودة المشروعة، فالمزارع والصانع والتاجر وغيرهم تُعتَبر أعمالهم عبادة إذا قصد بها كلٌّ منهم نفعَ عباد الله والاستغناء عن الحاجة إلى الناس وإعالة العيال، تحقيقًا لأمر الله سبحانه وتعالى.

فبالنية الصالحة يمكن تحويل العادات لعبادات وينال بها صاحبها الأجر كما يناله في سائر العبادات الظاهرة الكبرى، جاء في حديث أبي ذر ﷺ قال: (إن أناسًا قالوا: يا رسول الله: ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نُصلّي ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما يصدَّقون به؟ إنَّ بكلِّ تسبيحة صدقة، وكلِّ تكبيرة صدقة، وكلِّ تحميدة صدقة، وكلِّ تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)[١٦١].

ومثاله كذلك: إجابة دعوة المسلم، قال عليه الصلاة والسلام: (إذا دُعي أحدكم

---

(١٦٠) العبودية، لابن تيمية، ص٣٨.

(١٦١) صحيح مسلم رقم(١٠٠٦).

فليجب، فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطرًا فليطعم)[١٦٢].

فمن كانت نيته في إجابة الدعوة امتثال أمر الرسول ﷺ وإدخال السرور على أخيه المسلم كان فعله عبادة، أما من لم تكن له نية في إجابتها فلا يُعد قيامه بذلك عبادة، وهذا ينطبق على كلِّ شأن من شؤون الحياة، من مأكلٍ ومشربٍ ومنكحٍ ونومٍ ويقظةٍ وسفرٍ وإقامة وهكذا، فمن نوى بكلِّ هذه وأمثالها وجه الله فهي عبادةٌ مأجورٌ عليها، وكلَّما كانت النية أشمل كان الأجر أعظم لقول الرسول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[١٦٣].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "ربَّ عمل صغير تعظمه النية، وربَّ عمل كبير تُصغِّره النية"[١٦٤].

شرف العبودية لله تعالى

إن الذل والعبودية لله تعالى شرف عظيم؛ بل هي أعلى وأجل مقامات الإنسان في هذه الحياة الدنيا. ومما يدل على ذلك أمورٌ، منها:

أولا: أن الله ﷻ قد وصف الرسول ﷺ في أرفع مقاماته بأنه عبدٌ لله تعالى، وذلك في ثمانية مواطن في كتابه الكريم، وهي:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة:٢٣] فوصفه بالعبودية في مقام تحدي المشركين.

وقال الله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[الأنفال:٤١] فوصفه بالعبودية في مقام انتصاره يوم بدر.

وقال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾[الإسراء:١]، وقال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[النجم:١٠]، فوصفه بالعبودية في مقام الإسراء والمعراج وهو أعلى مقام وصل إليه بشر، وهو من أجلّ كرامات النبي الكريم ﷺ.

---

(١٦٢) صحيح مسلم رقم(١٤٣١).

(١٦٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١)، وصحيح مسلم رقم(١٩٠٧).

(١٦٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٧١.

وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف:١]، وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الحديد:٩] فوصفه بالعبودية في هذه الآيات الثلاث وهو في مقام اختياره واصطفائه لتنزيل الكتاب عليه.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن:١]، فوصفه بالعبودية في مقام الدعوة إلى الله.

فلم يصف اللهُ تعالى نبيَّه الكريم في هذه المقامات بوصف العربي، ولا القرشي، ولا الهاشمي، ولا بوصف (سيد ولد آدم) مع أنه كذلك، وإنما اختار ﷻ أن يسميه في هذه المقامات العلية بأنه "عبدٌ لله"، وهذا يعني شرف مقام العبودية.

ثانيا: أن رسول الله ﷺ اختار أن يكون عبداً رسولاً على أن يكون ملكاً لمّا خيَّره ربُّه بين أن يكون مَلِكاً وبين أن يكون عبداً رسولاً؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملَك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك: أملِكا أجعلك أمْ عبدا رسولا؟ فقال له جبريل: تواضع لربك يا محمد، فقال رسول الله ﷺ: بل عبدا رسولا)[١٦٥].

ثالثا: أن من استكبر عن العبودية لله تعالى؛ فإنه سيكون في هذه الدنيا عبداً لغيره من المخلوقات، ومن زعم أنه لا يعبد شيئاً آخر فهو في واقع الأمر إنما يعبد هواه. ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣]. وشتان بين من كانت عبوديته لله الكبير العظيم الجليل، ومن كانت عبوديته لمخلوق مثله!

وقد أحسن الشاعر الذي قال:

وَمِمَّا زَادَنِي عَجَبًا وَتِيهًا ... وَكِدْت بِأَخْمَصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِك يَا عِبَادِي ... وَأَنْ صَيَّرْت أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا[١٦٦]

---

(١٦٥) مسند أحمد رقم(٧١٦٠).

(١٦٦) قاله القاضي عياض. ينظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للسفاريني ٢/ ٣٧٢.

١

خلاصة الوحدة

١- الله تعالى الخالق الرازق وحق الخالق على المخلوق أن يُعبد كما أمر وشرع .

٢- العبودية شرف عظيم لكل عابد لله وهي أعلى وأجل مقامات الإنسان في هذه الدنيا.

أنشطة الوحدة

تأمل قدْر العبادة وقيمتها من خلال الشواهد التالية :

١- قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾

[آل عمران:٩١]

٢- قوله ﷺ (ركعتا الفجر خير من الدنيا وما عليها)

٣- قوله ﷺ (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير مما طلعت عليه الشمس)

ما هي أسباب تنوع أشكال العبادة؟ وما فوائد هذا التنوع بالنسبة للعابد؟

كيف يمكن تحويل العبادة من مجرد كونها تكليفا إلى أن تصبح لدى العابد اعتزازا وفخرا، وشرفا وسموا يقوم به رغبة ومحبة

لأجل تحويل العادات التالية إلى عبادات، ما هي النية التي أستحضرها عندما أقوم بالأعمال التالية :

الدراسة الجامعية: _____

الوظيفة: _____

فتح محل تجاري: _____

الزواج: _____

خدمة طلبها زميل: _____

مجاملة اجتماعية: _____

زيارة صديق: _____

الوحدة الثانية

محركات العبادة

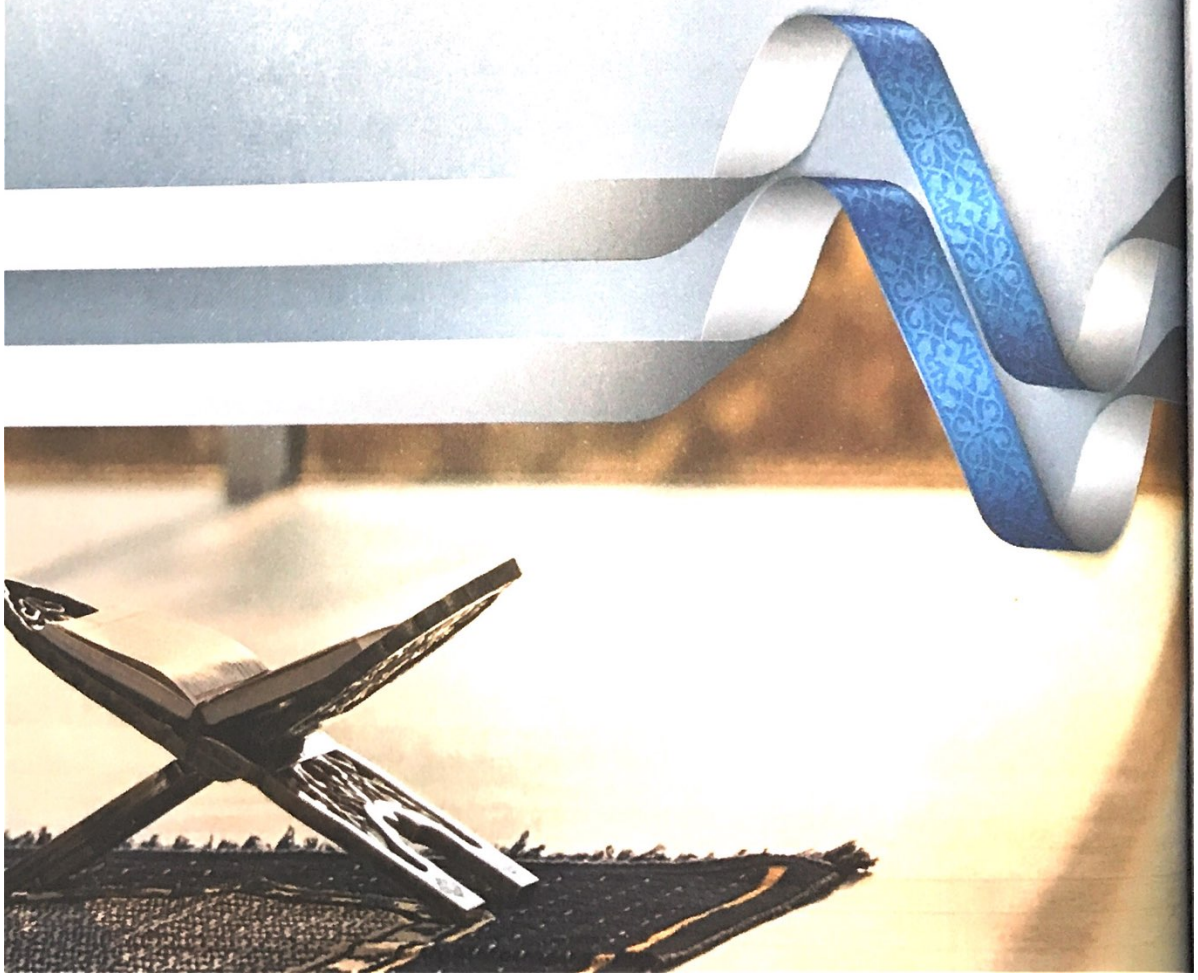

الوحدة الثانية: محركات العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ معرفة الله تعالى تزيد العابد قربا منه، ومن عرف الله تعالى تمام المعرفة كانت عبوديته لله أعظم.
٢. أنّ التعرف على الله تعالى بأسمائه وصفاته تورث حسن التعبّد لله.
٣. أنّ محركات العبادة ثلاثة هي: المحبة والخوف والرجاء.
٤. أنّ طريق محبة الله كثرة ذكره ومطالعة آلائه ونعمائه.
٥. أنّ طريق رجاء الله مطالعة كرم الله وحلمه وعفوه، ومطالعة وصف الجنة.
٦. أنّ طريق الخوف من الله مطالعة آيات الوعيد والعرض والحساب، ومطالعة صفة النار.

معرفة المعبود

كل مسلم يعرف الله ﷻ، ويعرف أنه لا إله إلا الله، وإلا لم يكن من المسلمين أصلا! ولكنّ المسلمين يتفاوتون في حقيقة وعمق معرفتهم بالله ﷻ تفاوتاً عظيماً.

فمنهم مَن معرفته بالله معرفةٌ سطحيةٌ جداً؛ لا يعرفُ أسماءه، ولا يعرفُ أوصافه، تشبه معرفة أحدهم لشخصٍ ما سمع عنه مرة من المرات، أو تعرّف عليه في مكان سريعاً، يذكره مرةً وينساه مرات!

ومنهم من معرفته بالله معرفةٌ عظيمةٌ وعميقة، تخالط وجدانه وقلبه دوما، فهو دائم التعرف على أسمائه الحسنى، والتعرف على أوصافه العلى، والتعرف على أفعاله في الماضين وفي اللاحقين.

وهو كذلك يتعرِف على ما يحبه الله، وعلى ما يكرهه الله، ويتعرف على ما يُرضي الله، وعلى ما يُسخط الله.

وطريقُه في التعرف على الله: هو من خلال قراءة كلامه سبحانه، وتدبر آياته الشرعية المتلوة، والتفكر في آياته الكونية المخلوقة، ويتتبع أخبار الرسول ﷺ عن الله؛ فهو يبحث دوماً عما يعرّفه بالله سبحانه وتعالى.

وبين هذا وذاك درجاتٍ متفاوتة تفاوتاً عظيماً كما بين السماء والأرض في معرفة الناس بالله سبحانه وتعالى.

إن تعرّفنا على الله تعالى أكثر فأكثر يزيدنا منه قرباً، ويزيدنا له حباً، ويزيدنا منه خوفاً، ويزيدنا رجاءً، ويزيدنا له خشية، وتعظيما، وإخباتاً، وتوبةً، وإنابة.

والقاعدة: أن مَن كانت معرفته بالله أتمّ؛ كانت عبوديته له أعظم.

وهذا من معاني قول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وأسماء الله وصفاته تصنع في القلب ألواناً من العبودية لله سبحانه، فيصير العبد المسلم مؤمناً روحانياً مرتقياً بإيمانه إلى الدرجات العلى.

ومن أسماء الله تعالى وصفاته التي تورثنا معرفتُها عبوديةً له سبحانه وتعالى:

١- أن الله تعالى هو الخالق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾[البقرة:٢١-٢٢].

والخالق هو المستحق للعبادة وحده، والمخلوق لا يستحق العبادة؛ إذ كيف يعبد المخلوق مخلوقاً مثله! قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[الحج:٧٣].

وهذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان، وبيان نقصان عقول من عبَدها، وضعف الجميع، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ هذا خطاب للمؤمنين والكفار؛ فالمؤمنون يزدادون علماً وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة. ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهّموا ما احتوى عليه، ولا يصادفنّ منكم قلوباً لاهية، وأسماعاً مُعرِضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ شمل كل ما يدعى من دون الله. ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ الذي هو من أحقر المخلوقات، فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف، فما فوقه من باب أولى. ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ بل أبلغ من ذلك ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ وهذا غاية ما يصير من العجز. ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾ الذي هو المعبود من دون الله ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما مَن يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين.[١٦٧]

٢- أنّ الله تعالى هو الرزاق:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر:٣]. وفي هذه الآية يأمر الله

(١٦٧) تفسير السعدي، ص٥٤٦.

تعالى جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافاً، وباللسان ثناءً، وبالجوارح انقياداً، فإنّ ذكر نعمه سبحانه تعالى داعٍ لشكره.

٣- أنّ الله تعالى هو الغفور الرحيم:

يتجه المسلم إلى الله ويعبده لأنه الغفور الذي يقبل توبة عبده، والرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

٤- أنّ الله تعالى شديد العقاب:

أمر الله عباده أن يتقوه ويحذروه وأن لا يأمنوا عقابه، وهو شديد العقاب على من أعرض عنه سبحانه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[البقرة:١٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر:٤٩-٥٠].

٥- أنّ الله تعالى هو الغني:

الله ﷻ هو الغني بذاته، وغناه غنى ذاتي، والإنسان فقره فقرٌ ذاتي. والفقير دوماً بحاجة إلى الغني سبحانه. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾[فاطر:١٧].

٦- أنّ الله تعالى هو العظيم:

الله سبحانه عظيمٌ لا يصل عقل الإنسان إلى معرفة كُنْه ذاته، ولا حقيقة صفاته سبحانه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]، وقال الرسول ﷺ: (يَقبضُ الله الأرضَ يومَ القيامة، ويَطوي السماءَ بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِك، أين مُلوكُ الأرض؟)[١٦٨].

(١٦٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٤٨١٢)، وصحيح مسلم رقم(٢٧٨٧).

٧- أنّ الله تعالى هو القدير:

جُبلت النفوس على التعلق بمن له القدرة على جلب النفع ودفع الضر، ويحقق لها حاجاتها ورغباتها، والله ﷻ على كل شيء قدير.

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء:٦٧].

وقال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَات، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)[١٦٩].

٨- أنّ الله تعالى هو مجيب دعوة المضطرين:

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٣ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٦٤﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]

٩- أنّ الله تعالى هو الحي القيوم:

حياة الله ﷻ أكمل الحياة؛ لم يسبقها عدم، ولا يلحقها فناء، هو الأول والآخر، وهو جل وعلا القيوم أي القائم بنفسه المقيم لغيره؛ وهو الصمد الذي يحتاج إليه كل شيء، ولا يحتاج إلى شيء.

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا

(١٦٩) سنن الترمذي رقم(٢٥١٦).

يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

١٠- أنّ الله تعالى هو الرقيب الشهيد:

هو المطلع على عباده، الذي لا يخفى عليه شيء من أمرهم، يعلم ظاهرهم وباطنهم، يستوي عنده سرّهم وجهرهم.

قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[البقرة:٢٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾[ق:١٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[يونس:٦١].

محركات القلوب

إذا تعرف العبد على ربه؛ فإن القلب يتوجه إليه، والقلب في سيره إلى الله تعالى يتحرك تارةً محبة وشوقا، ويتحرك تارة رجاءً وطمعاً، ويتحرك تارة رهبة وخوفاً.

وهذه المحركات الثلاثة هي أهم ما يُحرك القلوب في سيرها إلى الله تعالى. قال ابن تيمية رحمه الله: "اعلم أنَّ محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء. وأقواها المحبة، وهي المقصودة لذاتها؛ لأنها تُراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف؛ فإنه يزول في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]. والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إلى الله، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده"[١٧٠].

والقلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سَلِم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطِع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عرضة لكلِّ صائدٍ وكاسر. ويستحب للعبد أن يقوّي في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند اشتداد المرض يقوّي جناح الرجاء على جناح الخوف.[١٧١]

فمحركات العبادة ينبغي أن تتّسم بالتوازن والانسجام؛ بحيث يوازن هذه المحركات الثلاثة للعبادة، لأن الإخلال بهذا الميزان يخلُّ بعبادته وسيره إلى الله.

المحرك الأول- محبة الله:

يتعلق قلب المؤمن بالله تعالى محبةً له، وإقبالاً عليه، وكلما تفكر العبد في كمال الله وجلاله وجماله، وتفكر في نعمه وآلائه؛ ازداد حباً له وشوقا.
فالله عز وجل هو المحبوب لذاته، وما سواه فإنما يُحَبّ لغيره.

---

(١٧٠) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١/٩٥.
(١٧١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/٥١٧.

والله ﷻ يبادل عباده المؤمنين حباً بحبٍ، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة:١٩٥]، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[ال عمران:٧٦]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[ال عمران:١٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[ال عمران:١٥٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[المائدة:٤٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:١٠٨].

وقد جمع الله بين محبته لعباده ومحبتهم له في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤].

فمحبة الله محركٌ وباعثٌ للعبودية له تعالى؛ ومن لا يحب الله لم يكن عابدًا، وليس في الوجود أجدر من الله تعالى بأن يُحَب، فهو صاحب الفضل والإحسان، الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا، وخلق له ما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وخلقه في أحسن تقويم، وصوَّره فأحسن صورته، وكرَّمه وفضَّله على كثير من خلقه، ورزقه من الطيبات، وعلَّمه البيان، واستخلفه في الأرض، فمن أولى من الله بأن يُحب؟!

فمن عبد الله ولم يكن محباً له فلا عبادة له، بل لا بدَّ أن تكون عبادته قائمة على محبة الله، ودليل المحبة قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]. قال ابن كثير رحمه الله: "ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له؛ لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده، ويتوكَّلون عليه، ويلجئون في جميع أمورهم إليه"(١٧٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾[التوبة:٢٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "فمن كان محبًا لله، لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسَّى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله، وقد جعل

(١٧٢) تفسير ابن كثير، ١/٣٥٨.

الله لأهل محبته علامتين: اتباع الرسول، والجهاد في سبيله، وذلك لأنَّ الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومِن دفْع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان"(١٧٣).

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ، قال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار)(١٧٤).

فكلَّما عظمت محبة العبد لربه كلَّما عظم تقرُّبه له، وقويت صلته به، وازدادت عبادته، وبذلك تحصل محبة الله للعبد، كما روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه)(١٧٥).

فمن أحب الله حبًّا صادقًا بحيث يدفعه للعمل المشروع والبعد عن المحذور فإنَّ هذا يورث محبَّة الله له، ومن أحبه الله فهو من أوليائه الذين قال ﷻ فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

طرق تحريك محبة الله:

يحرك محبة الله في القلب شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر لله؛ لأن كثرة ذكره تُعلِّق القلوب به، ولهذا أمر الله ﷻ بالذكر الكثير، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: ٤١].

(١٧٣) العبودية، لابن تيمية، ص١٠٤.
(١٧٤) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١٦)، وصحيح مسلم رقم(٤٣).
(١٧٥) صحيح البخاري رقم(٦٥٠٢).

الثاني: مطالعة آلائه ونعمائه، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[النحل:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ القمان:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم:٣٤، والنحل:١٨]، فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض، وما فيها من الأشجار والحيوان، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره، فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً"[١٧٦].

المحرك الثاني- رجاء الله:

المؤمن لا يزال متعلقاً يرجو رحمة الله، ولا ييأس ولا يقنط من رحمة الله؛ لأنه الرحيم سبحانه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)[١٧٧].

قال تعالى في حوار نبي الله يعقوب عليه السلام لأبنائه ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف:٨٧].

ورجاء الله ليس اتكالاً بلا عمل صالح، بل رجاؤه سبحانه وتعالى يدفع إلى العبادة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:٢١٨].

والرجاء: حاد يحدو القلوب إلى الله والدار الآخرة، ويطيِّب لها السير، وهو الاستبشار بجود وفضل الربِّ تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، والثقة بجود الربِّ تعالى[١٧٨]. والرجاء من الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من ربه، ودليل كون الرجاء مقرِّبًا إلى الله، قوله تعالى في وصف بعض أنبيائه، وذكر عبادتهم والباعث لها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

وأخبر تعالى عن خواص عباده، وأنهم كانوا راجين له خاضعين، فقال تعالى: ﴿قُلِ

(١٧٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١/٩٥-٩٦.

(١٧٧) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(٧٤٢٢)، وصحيح مسلم رقم(٢٧٥١).

(١٧٨) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/٣٦-٣٧.

﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾[الإسراء:٥٦-٥٧].

كما وصف المؤمنين أنهم يرجون الله طمعًا في ثوابه والقرب منه؛ فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾[السجدة:١٨].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[الزمر:٩].

وأخبر عن الصحابة المهاجرين الذين فرُّوا بدِينهم وتركوا أموالهم وأولادهم وأوطانهم وما عملوه في الإسلام والدافع لذلك، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:٢١٨].

وعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي)[١٧٩].

وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: (لا يموتن أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظن بربه)[١٨٠].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله فوائد في رجاء العبد لربه، فقال: "منها: إظهار العبودية والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه من ربه... ومنها: أنه يحب سبحانه من عباده أن يؤملوه ويرجوه ويسألوه من فضله لأنه الملك الحقُّ الجواد، أجود من سُئِل، وأوسع من أعطى، وأحب شيء إلى الجواد: أن يُرجى ويؤمل ويُسأل. ومنها: أنَّ الرجاء حادٍ يحدو به في سيره إلى الله، ويطيب له المسير، ويحثُّه عليه، ويبعثه على ملازمته، ومنها: أنه يبعثه على أعلى المقامات وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوُّه كان أدعى لشكره، ومنها: أنه يوجب له المزيد من معرفة لله وأسمائه ومعانيها والتعلُّق بها؛ فإنَّ الراجي

(١٧٩) سنن الترمذي رقم(٣٥٣٤) وقال: هذا حديث حسن غريب.
(١٨٠) صحيح مسلم رقم(٢٨٧٧)، وسنن أبي داود رقم(٣١١٣).

متعلِّق بأسمائه الحسنى، متعبِّدٌ بها، داعٍ بها"[١٨١].

وفي ترك رجاء العبد لربه يأس وقنوط من رحمته، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في جوابه للملائكة: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[الحجر:٥٦].

كما نهى سبحانه تعالى عباده الذين ارتكبوا المحرَّمات وأسرفوا على أنفسهم أن يقنطوا من رحمة الله، وأرشدهم للاستقامة ورجاء ثوابه، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣].

طرق تحريك رجاء الله:

من أهم ما يحرك الرجاء في القلب: مطالعة الآيات والأحاديث في كرم الله وحلمه وعفوه، وفي وصف الجنة.[١٨٢]

المحرك الثالث- خوف الله:

عندما يعصي العبد ربه عز وجل؛ فإنه يخاف عقابه؛ لأنه يعصي العظيم الذي خضعت له قلوب الجبابرة، وكيف لا يخاف العبد عاقبة معصيته، وقد توعد الله من يتعدى حدوده بعذاب النار. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾[النساء:١٣-١٤].

فكما أنَّ المسلم يعبد ربَّه تبارك وتعالى حبًّا له ورجاءً لثوابه وطمعًا في جنته، فإنه كذلك يعبده خوفًا من عقابه وحذرًا من ناره.

والخوف هو توقع العقوبة، واضطراب القلب وحركته من تذكُّر المخوف، وهرب القلب

(١٨١) مدارج السالكين، لابن القيم، ٢/ ٥٠-٥١.

(١٨٢) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١/ ٩٥.

من حلول المكروه عند استشعاره.(١٨٣)

فالخوف من الله باعثٌ يدفع لإحسان العبادة؛ حذرًا من وقوع العذاب، وحرصًا على قبول العمل، وتحريك باعث الخوف من الله دلت عليه الكثير من الآيات، قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[البقرة:٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾[المائدة:٤٤].

كما مدح الخائفين والخاشعين لله فقال في معرض ذكر صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ٢٨﴾[المعارج:٢٧-٢٨].

كما وصف بعض أنبيائه فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[الأنبياء:٩٠].

وأخبر عن ملائكته والدافع لعبادتهم فقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٥٠﴾[النحل:٥٠].

وقال تعالى عما عمله المؤمنون، ودافعهم لذلك ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾[الإنسان:٨-١٠].

كما وعد من خافه أن يُدخله الجنة، فقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾[النازعات:٤٠-٤١].

والخوف من الله باعث للعبادة، يستوي فيه المجتهد والمقصّر المحسن والمسيء الطائع والعاصي، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون:٦٠] أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: لا يا ابنة الصديق،

(١٨٣) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٠٨/١.

ولكنَّه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ألاَّ يُقبَل منه)[١٨٤]. قال الحسن البصري رحمه الله: "عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها، وخافوا أن تُردَّ عليهم، إنَّ المؤمن جمع إحسانًا وخشيةً، والمنافق إساءةً وأمنًا"[١٨٥].

وقال ابن كثير رحمه الله: "يُعطون العطاء وهم خائفون وجلون ألاَّ يُتقبَّل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصَّروا في القيام بشروط العطاء"[١٨٦].

والخوف هو الورع عن الآثام ظاهرًا وباطنًا، وهو ما يحجز عن محارم الله[١٨٧].

كما حكى الله عن ابن آدم الذي تبرَّأ من مقاتلة أخيه إذ أراد قتله، وأوضح أنَّ السبب في الكفِّ عن ذلك هو خوفه من الله، فقال تعالى عنهما: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[المائدة:٢٨].

وكما أن الخوف يحجب العبد عن المعصية فإنَّه يدفع إلى فعل الطاعة والمسارعة فيها، لذا يقول عليه الصلاة والسلام: (من خاف أدلج[١٨٨]، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)[١٨٩].

طرق تحريك خوف الله:

من أهم ما يحرك الخوف في القلب: مطالعة آيات الوعيد، والزجر، والعرض، والحساب، وصفة النار.

---

(١٨٤) أخرجه الترمذي رقم(٣١٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٤) وقال: حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

(١٨٥) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٥٠٧.

(١٨٦) تفسير ابن كثير، ٥/ ٤١٨.

(١٨٧) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٥١٠-٥١١.

(١٨٨) أدلج: يعني سار بالدلجة وهي الليل، ومعنى الحديث: من خاف أن يدركه قطاع الطريق فإنه يواصل مسيره دون توقف بالليل). ينظر: الصحاح، للجوهري، ١/ ٣١٥). وفيض القدير، للمناوي، ٦/ ١٢٣.

(١٨٩) أخرجه الترمذي رقم(٢٤٥٢).

٢

خلاصة الوحدة

- محركات العبادة متلازمة، والعبادة لا تنفك عن محبة الله وخوفه ورجائه.

- القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه فمتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان كان الطائر عرضة لكل صائد.

أنشطة الوحدة

١. في حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة)، ما هي هذه الأسماء الحسنى؟ وما هي معانيها؟ وما طريق التعرف على الله من خلالها؟

٢. كيف يمكن تحويل العبادة من مجرد كونها تكليفا اعتياديا إلى أن يقوم بها العابد محبة لله تعالى؟

٣. نعم الله على الخلق كثيرة ومتنوعة، ما هي النعم التي أنعم الله بها عليك وما الواجب تجاهها؟

الوحدة الثالثة

قبول العبادة

الوحدة الثالثة: قبول العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ صحة إيمان العبد لازم لقبول العبادة منه.
٢. أنّ إخلاص العبادة لله لازمة لقبولها من العابد.
٣. أنّ من شروط قبول العبادة تحقيق شهادة أن محمدا رسول الله وتصديق خبره واتباع سنته.
٤. أنّ على العابد أن يستكثر من العبادات لأنها الباقيات المنجيات له عند لقاء ربه.
٥. أنّ على العابد ألا يستصغر العبادة أو يهجرها إن كانت صغيرة أو خرجت عن حدود الفرائض الكبرى لأنه سيجد أثرها عليه في دينه ودنياه.
٦. أنّ على العابد أن يكون في سباق مع العبادة وأن ينافس غيره عليها.
٧. أنّه ينبغي أن يُظهر العابد فرحه بالعبادة وأن يظهر أثر ذلك الفرح في حاله ،لأن توفيقه إليها من الله تعالى.
٨. أنّ على العابد ألا يغتر بالعبادة أو يدخله العجب والرياء لأنها من مفسدات العبادة ومبطلاتها.
٩. أنّ على العابد شكر الله والاعتراف بفضله على أن وفقه للعبادة وهداه إليها.

شروط قبول العبادة

لمَّا شرع الله عبادته جعل لها شروطاً للصحة والقبول، فلا تكون صحيحة ومقبولة عنده إلا إذا توافرت فيها هذه الشروط.

وشروط العبادة هي الإيمان، والإخلاص، والمتابعة.

وقد جمع الله بينها في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[النساء:١٢٥]، فشرط الإخلاص في قوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، وشرط المتابعة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، والمحسن هو ما كان عمله وفق ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، وشرط الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾.(١٩٠)

وفيما يأتي تفصيل كل واحد منها:

الشرط الأول- أن تكون العبادة من مؤمن:

بأن يكون العابد مؤمنًا بما جاء عن الله وعن رسوله، مصدقًا بكل خبرٍ وجب الإيمان به،

وقد دلَّ على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء:١٢٤].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧]. قال الأمين الشنقيطي رحمه الله: "فقيَّد ذلك بالإيمان، ومفهوم مخالفته أنه لو كان غير مؤمن لما قُبِل منه ذلك العمل الصالح"(١٩١).

فدلَّت هذه الآيات وغيرها على لزوم صحة الإيمان حتى تصح الأعمال المتقرَّب بها إلى الله عز وجل، ولأجل هذا الشرط فقد أبطل الله قربات الكفار، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[النور:٣٩].

---

(١٩٠) ينظر: تفسير السعدي، ص٢٠٦.

(١٩١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للأمين الشنقيطي، ٢/٤٤٠.

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، إنَّ ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويُطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[١٩٢].

ولا يثاب الكافر في الآخرة على أي عبادة من العبادات ولا على أي عمل من الأعمال الخيّرة التي عملها في الدنيا، لأن سيئة الكفر والشرك تمحو كل حسنة، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩].

الشرط الثاني- إخلاص العمل لله تعالى:

الإخلاص هو أن يريد العبد بطاعته التقرُّب إلى الله سبحانه دون أيِّ شيءٍ آخر من تصنُّعٍ لمخلوقٍ، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو أي معنىً من المعاني سوى التقرُّب به إلى الله تعالى، فهو لبُّ الدين، وعموده الأعظم.

والإخلاص لغةً يعني: تصفية الشيء وتنقيته، يقال: خلص الشيء من الشوائب إذا صفا، وأخلص الشيء: نقاه، وخلَّصه: أزال عنه ما يكدره[١٩٣].

وعلى هذا دارت أقوال العلماء في تعريفه، فقالوا: هو قصد المعبود وحده بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف:١١٠].

وقد وردت أدلَّةٌ كثيرةٌ في الكتابِ والسُنة مُقرِّرةً هذا الشرط، ومنها قوله تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يُوضِّح لأمته ما أمر به من قبل الله عز وجل: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾[الرعد:٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر:١١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾[الزمر:١٤].

---

(١٩٢) أخرجه مسلم رقم(٢١٤).

(١٩٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢٠٨/٢. والمصباح المنير، للفيومي، ص٩٤.

وقال تعالى موضحًا ما أمر به عباده المؤمنين: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البينة:٥].

وقال ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[١٩٤].

يقول ابن القيم رحمه الله: "النية بمنزلة الرُوح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركةُ عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هو أصلها، وأحكام الجوارح متفرِّعة عنها"[١٩٥].

الشرط الثالث- متابعة النبي ﷺ:

معناها أن تكون عبادة المسلم تابعةً لِما جاء عن الله ورسوله ﷺ، وهذا هو تحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله، وهو: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألاَّ يعبد الله إلاَّ بما شرع عليه الصلاة والسلام، ودليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾[الحشر:٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[النساء:٦٤].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)[١٩٦].

وقال الله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[الملك:٢]، قال الفضيل بن عياض: "العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل؛ حتى يكون خالصًا وصوابًا، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السُنة. فلا يقبل الله من العمل إلاَّ ما كان خالصًا لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردودٌ على عامله، يُردّ عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثورًا"[١٩٧].

---

(١٩٤) صحيح مسلم رقم(٢٥٦٤).

(١٩٥) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٣/١٨٧-١٨٨.

(١٩٦) صحيح مسلم رقم(١٧١٨).

(١٩٧) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/١٠٥.

حال المسلم مع العبادة

للمسلم أحوال يعتني بها مع العبادة، منها:

١- فعل العبادة:

على المسلم أن يستكثر من العبادات فهي الباقيات الصالحات التي تبقى له عند ربه يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦] وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه سبحانه أنه قال: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)[١٩٨].

٢- عدم استصغار العبادة:

نوّع الله تعالى العبادات ليستكثر العبد منها لا ليهجرها، ومهما كانت العبادة صغيرة فإن المسلم لا يتركها بدعوى أنها صغيرة أو غير مهمة أو غير مؤثرة!

فإن الله ﷻ لا يضيع عنده عملٌ صالح؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

كما أمر النبي ﷺ بفعل الطاعة ولو كانت قليلة؛ (اتقوا النار ولو بشق تمرة)[١٩٩].

٣- التسابق إلى العبادة:

إن من عرف أن الدنيا دار ممر وابتلاء وفناء، وأن الآخرة دار مقر وجزاء وبقاء، فلا شك أنه سيكون مستكثراً من الطاعات، مسابقاً ومسارعاً إليها.

ولذلك حذّر الله عباده من الركون للحياة الدنيا، والاغترار بزخرفها، وبيّن لهم حقيقتها، ثم أمرَهم بالمسارعة إلى مغفرته ورضوانه والجنة الباقية، فقال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١٩٨) صحيح البخاري رقم(٦٥٠٢).

(١٩٩) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(١٤١٧)، وصحيح مسلم رقم(١٠١٦).

مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾[الحديد:٢٠-٢١].

وقال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الذاريات:٥٠].

والتسابق إلى الطاعة هو منهج صحابة رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار.

ثبت عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: (ما أبقيت لأهلك؟) فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: (يا أبا بكر؟ ما أبقيت لأهلك؟). فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً)[٢٠٠].

٤- الفرح بالعبادة:

العبادة شرفٌ للعابد، وسموٌ لروحه وعزة وإباء، ولربما يفرح الناس بدراهم يصيبونها، ومنازل يسكنونها، وتجارات يربحونها، ويغفلون عن الفرح بما هو أهم من ذلك وأعظم، وهو الفرح بعبادة الله ونعمه الدينية الشرعية، مثل نعمته ﷻ على عبده بتوفيقه لحفظ القرآن أو بعض أجزائه، أو توفيقه لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما أمر الله، أو توفيقه لنعمة بلوغ شهر رمضان وتمامه، وسبب هذا الخلل منهم: تعلق القلب بحب الدنيا الفانية، ونسيان الآخرة الباقية.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[يونس:٥٧-٥٨].

قال ابن كثير رحمه الله: "(بفضل الله) أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق (فليفرحوا)، فإنه أولى ما يفرحون به، (هو خير مما يجمعون) أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة"[٢٠١].

---

(٢٠٠) سنن الترمذي واللفظ له رقم(٣٦٧٥)، وسنن أبي داود رقم(١٦٧٨).

(٢٠١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٢٣٩.

٥- عدم الاغترار بالعبادة وسؤال الله قبولها:

قد يدخل إبليس على المسلم الذي قام بعبادة من العبادات من مدخل العجب والغرور؛ فيوسوس له بأنه خيرٌ من فلان الذي لم يقم بهذه العبادة، وربما وسوس له أنه قد صار من أهل الجنة، فيدخل على هذا المسكين من العُجب والغرور ما يُفسدُ عليه عبادته، ويُذهبُ عليه أجره.

قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات:١٧].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

فليس بالضرورة أن تكون كل عبادة مقبولةً عند الله، فربما لم تكن هذه العبادة طيبة كاملة مستوفاة، والله تعالى طيب يقبل الطيبات، ولما قرّب ابنا آدم قربانين، تقبل الله من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۗ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

وقد ذكر الله في صفات عباده المؤمنين أنهم يخافون أن لا يُقبل منهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

وهذا يورث المسلم انكساراً بين يدي الله، فيطلب من الله أن يغفر له خطأه وتقصيره في العبادة، ويطلب منه أيضاً أن يتقبل عبادته ويجبر ما فيها من نقص، وألا يؤاخذه بتقصيره.

ولا يعني هذا أن لا يفرح العبد بطاعة الله؛ بل يجمع في تعبده بين الخوف والرجاء، فيفرح بالعبادة ولكن لا يغتر بها.

٦- شكر الله على التوفيق للعبادة:

إن المسلم العالم بالله يعلم أن الله ﷻ هو الذي وفّقه للخير وهداه إليه، ويعلم أنه لولا فضل الله ورحمته لكان من الكافرين أو الفاسقين. وهذا يستدعي منه اعترافاً منه

بفضل الله عليه، ونعمته عليه بأن وفّقَه لعبادته وطاعته.

بل حتى هذا التوفيق لشكر الله على العبادة يعدّ نعمةً جديدة تستوجب شكراً جديداً؛ فيبقى العبد يتقلب في نعم الله شاكراً لربه معترفاً له بالفضل والإنعام. قال الشافعي رحمه الله: "والحمد لله الذي لا يُؤدى شُكر نعمة من نِعَمِه؛ إلا بنعمةٍ منه"(٢٠٢).

وثمرة هذا الشكر أن يوفق المسلم لعبادة جديدة، فإن الله قد وعد شاكر نعمه بالمزيد؛ فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

(٢٠٢) مقدمة الرسالة للإمام الشافعي، ١/٧٠.

خلاصة الوحدة

للعبادة شروط صحة وقبول هي: الإيمان والإخلاص والمتابعة.

للعبادة أحوال تظهر على صاحبها ،وعلى العابد أن يعتني بها ويُظهرها في نفسه عندما يعبد الله تعالى .

أنشطة الوحدة

١. ما معنى قول الله تعالى في الحديث القدسي : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ).

٢. على أي شرط من شروط العبادة لم تُقبل الأعمال الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : ((إنَّ أوَّل الناس يُقضَى يومَ القيامة عليه: رجلٌ استُشهد، فأُتي به، فعرَّفه نعمه عليه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استُشهدت، قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلت؛ لأنْ يُقال: جريء، فقد قيل، ثُم أمر به، فسُحب على وجهه، حتى أُلقي في النار.

ورجل تعلَّم العلم وعَلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فعرَّفه نعمه عليه فعَرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلمتَ العلم؛ ليُقال: عالم، وقرأتَ القرآن؛ ليقال: قارئ، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتي به، فعرَّفه نعَمه عليه فعَرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيل تحبُّ أن يُنفق فيها إلا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبتَ، ولكنَّك فعلتَ؛ ليقال: هو جوَاد، فقد قيل، ثم أمر به، فسُحب على وجهه، حتى أُلقي في النار)

٣. قال ابن القيم رحمه الله : (رب طاعة أعجب بها صاحبها أدخلته النار!)؟ ما معنى هذه العبارة ولماذا؟

٤. ما رأيك بقول بعض الناس: (لا تزاحم الناس على العمرة في رمضان، واترك المجال للآخرين)؟

الوحدة الرابعة

رأس العبادة

الوحدة الرابعة: رأس العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ الله تعالى عظم شأن الصلاة ورفع ذكرها وأعلى مكانها، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وأول ما يسأل عنها العبد يوم القيامة، وآخر وصايا النبي صلى الله عليه وسلم عند موته.

٢. أنّ الصلاة حاجز للعبد عن المعاصي وكفارة للخطايا والذنوب.

٣. أن المسلم يبلغ بصلاته مقام الصدّيقين والشهداء.

٤. أنّ الصلاة مقدّرة بوقت وزمن وأداؤها في وقتها من أحب الأعمال إلى الله تعالى.

٥. أنّ الله تعالى توعّد في كتابه الساهين عن الصلاة المؤخرين لها.

٦. أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حذّر من عقوبة تأخير الصلاة المكتوبة وبيّن الوعيد لمن أهملها.

٧. أنّ من الذين يظلهم الله في ظله (رجلٌ قلبُه مُعلّقٌ بالمساجد).

٨. أنّ خشوع المؤمن في صلاته هو سر فلاحه ونجاحه عند الله.

٩. أنّ الصلاة بلا خشوع كالبدن الميت.

١٠. أنّ الناس يتفاوتون في الخشوع في الصلاة ومنهم المفرط الظالم لنفسه، ومنهم المحافظ الذي تدخله الوساوس، ومنهم المجاهد لنفسه في دفعها، ومنهم والمقيم لها والمتمم لحدودها وأركانها، ومنهم من كانت قرة عينه في الصلاة وهو أفضلهم وأعلاهم منزلة.

١١. أنّ من الأمور المعينة على الخشوع في الصلاة استحضار عظمة الباري والوقوف بين يديه، والنظر لمواضع السجود، وتدبر القرآن والذكر عند الصلاة، وتذكر الموت،وتهيئة النفس، إلى الصلاة ومجاهدتها، واستحضار الثواب المترتب على الخشوع في الصلاة.

رأس العبادة وعمود الإسلام الصلاة، وقد عظَّم اللهُ شأنَ الصلاة، ورفع ذكرَها، وأعلى مكانتَها، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عن ابن عمر ﷺ ما؛ أن النبي ﷺ قال: (بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)(٢٠٣).

والصلاة هي أول ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة، عن عبد الله بن قرط ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: (أول ما يُحاسَب به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةُ، فإنْ صلحتْ، صلح سائرُ عمله، وإن فسَدَتْ، فَسَدَ سائرُ عمله)(٢٠٤).

والصلاة هي الفارق بين المسلم والكافر؛ قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:١١]. وعن جابر ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (بيْن الرجلِ وبيْن الشِّرْكِ والكفرِ تَرْكُ الصلاةِ)(٢٠٥).

والصلاة حاجز للعبد عن المعاصي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

وكان من آخر وصايا النبي ﷺ وهو يُعالِج سكراتِ الموت: (الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانُكم)(٢٠٦).

والصلاةُ كَفَّارةٌ للخطايا والذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾[هود:١١٤].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (أرأيتُم لو أن نهرًا بباب أحدِكم يغتسلُ منه كلَّ يوم خمسَ مرات، هل يبقى من درنه شيءٌ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلواتِ الخمس، يَمْحُو اللهُ بهن الخطايا)(٢٠٧).

---

(٢٠٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٨)، وصحيح مسلم رقم(١٦).

(٢٠٤) رواه الطبراني في «الأوسط» رقم(١٨٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(١٣٥٨).

(٢٠٥) صحيح مسلم رقم(٨٢).

(٢٠٦) سنن ابن ماجه رقم(٢٦٩٧).

(٢٠٧) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٢٨)، وصحيح مسلم رقم(٦٦٧).

والصلاة نور للعبد، فعن أبي مالك الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (الطهور شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزانَ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآنُ حُجَّة لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو فبائعٌ نفسَه، فمعتِقُها أو مُوبقُها)[٢٠٨].

والمسلم يبلغ بالصلاة والزكاة والصيام مقامَ الصدِّيقين والشهداء؛ عن أبي هريرة ﷺ: (كان رجلان من بليّ -حيّ من قضاعة- أسلما مع رسول الله ﷺ، واستُشهِد أحدُهما، وأُخِّر الآخرُ سَنةً، قال طلحة بن عبيد الله: فأُريتُ الجَنَّةَ، فرأيتُ المؤخَّرَ منهما أُدْخِلَ قبْل الشهيد، فتعجبتُ لذلك، فأصبحتُ فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ، أو ذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: أليس قد صام بَعده رمضان، وصلى سِتَّةَ آلافِ ركعةٍ، أو كذا وكذا ركعةً صلاةَ السَّنَة؟)[٢٠٩].

والصلاة يجب أن تُؤَدَّى في أوقاتها المحدَّدة شرعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

وأداء الصلاة في وقتها من أحبِّ الأعمالِ إلى الله، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ النبي ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟ قال: (الصلاةُ على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم برُّ الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهادُ في سبيلِ الله)[٢١٠].

ومما جاء في التَّرْهيبِ من تأخير الصلاة عن وقتها، قول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون:٤-٥]، وجاء في حديث رؤيا النبيِّ ﷺ قولُه: (أتاني الليلةَ آتيانِ، وإنهما ابتَعَثاني، وإنهما قالا لي: انطلِق، وإني انطلقتُ معهما، وإنا أتينا على رجلٍ مضطجع، وإذا آخَرُ قائمٌ عليه بصخرةٍ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ[٢١١] رأسه، فيتدهده[٢١٢] الحجر ها هنا،

(٢٠٨) صحيح مسلم رقم(٢٢٣).

(٢٠٩) مسند أحمد رقم(٨٣٩٩).

(٢١٠) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٢٧)، وصحيح مسلم رقم(٨٥).

(٢١١) الثلغ: هشم الرأس، وإصابته بشي صلب. ينظر: العين، للفراهيدي، ٤/ ٤٠١. والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ١/ ٢٢٠.

(٢١٢) يتدهده: يتدحرج ويدفعه من علو إلى أسفل. فتح الباري، لابن حجر، ١٢/ ٤٤١.

فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسُه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى، ثم قالا له: أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة)[٢١٣].

صلاة الجماعة للرجال

الرجل عليه أن يؤدي الصلوات الخمس في بيوت الله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور:٣٦-٣٨].

عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (إنَّ أثقلَ الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاة الفجر، ولو يَعلمون ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْوًا، ولقد هممتُ أنْ آمُر بالصلاة فتُقام، ثم آمُر رجلًا فيُصلِّي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزَمٌ من حطب إلى قومٍ لا يَشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار)[٢١٤].

وجاء في ذكر السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه: (ورجلٌ قلبُه معلَّق بالمساجد)[٢١٥].

والمساجد بيوت الله، مَن دَخلها فقد حلَّ ضيفًا على ربه، فلا قلب أطيب، ولا نفس أسعد من ضيف حلَّ على ربِّه في بيته وتحت رعايته، وهذه الضيافة تكون في الدُّنيا بما يحصل في قلوبهم من الاطمئنان والسعادة والراحة، وفي الآخرة بما أعدَّ لهم من الكرامة والنعيم، قال ﷺ: (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نُزُلاً كلما غدا أو راح)[٢١٦].

---

(٢١٣) صحيح البخاري رقم(٧٠٤٧).

(٢١٤) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٦٥٧)، وصحيح مسلم رقم(٢٥٢).

(٢١٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم (٦٦٠)، وصحيح مسلم رقم(١٠٣١).

(٢١٦) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٦٦٢)، وصحيح مسلم رقم(٦٦٩).

الخشوع في الصلاة

قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون:١-٢]، فلما ذَكَر بقيَّةَ صفاتهم؛ ذَكَر جزاءهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

قال الحَسَن البصريُّ رحمه الله في قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)، قال: "كان خشوعُهم في قلوبهم، فغَضُّوا بذلك أبصارَهم، وخفضوا الجَناح"[٢١٧].

قال ابن القيم رحمه الله: "علَّق اللهُ فلاحَ المُصَلِّين بالخشوع في صلاتهم، فدلَّ على أنَّ مَن لم يَخْشَعْ فليس مِن أهل الفلاح، ولو اعتدَّ له بها ثوابًا، لكان مِن المفلحين"[٢١٨].

والخشوع يأتي بمَعْنَى لِين القلب، ورقَّته، وسُكونه، فإذا خَشَعَ القَلبُ تَبِعَه خشوعُ الجوارح؛ لأنَّها تابعةٌ له، عن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (ألا وإنَّ في الجسَد مُضْغةً، إذا صَلَحَتْ صَلَح الجسَدُ كلُّه، وإذا فسَدَتْ فسَدَ الجسَدُ كله، ألا وهي القلب)[٢١٩].

ولذلك كان النبي ﷺ في صلاته يقول: (خَشَعَ لكَ سمعي، وبصري، ومُخِّي، وعَظمي، وعصبي)[٢٢٠].

وبعض الناس إذا دخل صلاته تساوره الوساوسُ، والأفكارُ، وينشغلُ بأمور الدنيا عن صلاته، فما يَشعُر إلا وقد انتهى منها، وحينئذٍ يَتحسَّر على صلاته التي لم يَخشَع فيها، ولم يَذُقْ حلاوتَها، وإنما كانت مجرَّد حركاتٍ وتمتمات؛ كالجسد بلا روح.

قال ابن القيم رحمه الله: "صلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حضور؛ كبَدَنٍ ميِّتٍ لا رُوحَ فيه، أفلا يَسْتَحْيي العَبْدُ أنْ يُهديَ إلى مخلوقٍ مثله عبدًا ميِّتًا، أو جاريةً ميتةً؟ فما ظنُّ هذا العبد أن تَقَعَ تلك الهَديَّةُ مِمَّن قَصَدَهُ بها مِن مَلِكٍ، أو أميرٍ، أو غيرِه؟! فهكذا سواء. الصلاةُ الخالية عن

(٢١٧) تفسير ابن كثير، ٤٠٢/٥.
(٢١٨) مدارج السالكين، لابن القيم، ٥٢٢/١.
(٢١٩) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٢)، وصحيح مسلم رقم(١٥٩٩).
(٢٢٠) قطعة من حديث في صحيح مسلم رقم(٧٧١).

الخشوع والحضور، وجمْع الهمَّة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد الميت، الذي يُريد إهداءَه إلى بعض الملوك؛ ولهذا لا يَقبَلها الله تعالى منه، وإنْ أَسْقَطَت الفرضَ في أحكام الدنيا، ولا يُثيبُه عليها؛ فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقَلَ منها"[٢٢١].

إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة وإن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض، وذلك أن أحدهما مقبلٌ على الله ﷻ والآخر ساه غافل،[٢٢٢] فعن عمَّار بن ياسر ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: (إنَّ الرجُل لَينصَرف وما كُتبَ له إلا عُشْرُ صلاته، تُسعُها، ثُمنُها، سُبعُها، سُدسُها، خُمسُها، رُبعُها، ثُلثُها، نصفُها)[٢٢٣].

والخشوعُ في الصلاة إنما يحصُل لمَن فَرَّغَ قلبَه لها، واشتَغَل بها عمَّا عَدَاها، وآثرَها على غيرها، وحينئذٍ تكون له قُرَّةَ عيْن، عن أنس ﷺ، أنَّ النَّبي ﷺ قال: (جُعلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة)[٢٢٤]، بل إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حَزَبَهُ أمْرٌ صَلَّى، وكانَ يقولُ: (قُمْ يا بلال، فَأَرِحْنا بالصلاة)[٢٢٥].

مراتب الناس في الخشوع في الصلاة:

كان النبي ﷺ أكثر الناس خشوعًا في الصلاة؛ قال عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ: (رأيتُ النبي ﷺ يُصلِّي، وفي صدره أزيزٌ كأزيز الرَّحَى من البُكاء)[٢٢٦]".

وأبو بكر ﷺ كان رجُلًا بكَّاءً، لا يُسْمِع الناسَ من البُكاء إذا صلَّى بهم[٢٢٧]، وعمر ﷺ صلَّى بالناس وقرأ سورة يوسف، فسُمِع نشيجُه من آخر الصفوف وهو يقرأ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[يوسف:٨٤][٢٢٨].

---

(٢٢١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص١٠.

(٢٢٢) المرجع السابق ، ص: ٢١.

(٢٢٣) سنن أبي داود رقم(٧٩٦)، ومسند أحمد رقم(١٨٨٧٩).

(٢٢٤) سنن النسائي رقم (رقم(٣٩٣٩).

(٢٢٥) سنن أبي داود رقم(٤٩٨٦).

(٢٢٦) سنن أبي داود رقم(٩٠٤).

(٢٢٧) صحيح البخاري رقم (٧١٦).

(٢٢٨) شعب الإيمان للبيهقي، رقم(١٨٩٥).

والناس في الصلاة على مراتبَ:

١- **المعاقَب**: هو الظالم لنفسه المفرِّط، الذي انتقَص مِن وضوئها، ومواقيتها، وحدودها، وأركانها.

٢- **المحاسَب**: هو الذي يحافظ على مواقيتها، وحدودها، وأركانها الظاهرة، ووضوئها، لكن قَدْ ضَيَّعَ مجاهَدةَ نفسه في الوسوسة، فذهَبَ مع الوساوس والأفكار.

٣- **المُكَفَّرُ عنه**: هو الذي يحافظ على حدودها وأركانها، وجاهَدَ نفسَه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهَدة عَدوِّه؛ لئلا يَسْرق صلاتَه، فهو في صلاة وجهاد.

٤- **المُثاب**: هو الذي إذا قام إلى الصلاة أَكْمَلَ حُقُوقَهَا وأَرْكَانَهَا وحُدُودَهَا، واسْتَغْرَقَ قلبَه مُراعاةُ حُدودها؛ لئلا يُضيِّع شيئًا منها؛ بل همُّه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي، وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبَه شأنُ الصلاة وعبوديةُ ربه تبارك وتعالى فيها.

٥- **المُقرَّبُ من ربه**: هو الذي جعلتْ قرةُ عينه في الصلاة، فإذا قام إلى الصلاة قام إليها كالرابع "المُثاب"، ولكنه زاد عليه بأنه أخذ قلبَه ووضعه بين يدي ربه ﷻ، ناظرًا بقلبه إليه، مُراقِبًا له، مُمْتَلِئًا من مَحَبَّته وعظَمَته؛ كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّتْ تلك الوساوسُ والخطرات، وارتفعَت حُجُبُهَا بينه وبين ربه، فبينه وبين غيره من المصلين كما بين السماء والأرض، فمَن قَرَّتْ عينُه بصلاته في الدنيا، قَرَّتْ عينُه بقُربه من ربِّه ﷻ في الآخرة، وقرَّت عينُه أيضًا به في الدنيا، ومَن قرَّت عينُه بالله، قرتْ به كلُّ عينٍ، ومَن لم تقرَّ عينُه بالله تعالى تَقَطَّعَتْ نفسُه على الدنيا حسرات[٢٢٩].

الأُمُور المعينة على الخُشُوع في الصلاة:

أولًا: أنْ يَسْتَحْضِرَ المُسْلِمُ عَظَمَةَ الباري سبحانه وتعالى، وأنه واقفٌ بين يَدَيْ جبار السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

(٢٢٩) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ص٢٣-٢٤.

ثانيًا: أن يَنظرَ المسلمُ إلى موضع السجود، ولا يَلتفتَ في صلاته، فعن أبي ذر ﷺ: أن النبي ﷺ قال: (لا يزال الله مُقبِلًا على العبد في صلاته، ما لم يلتفت، فإذا صَرَفَ وَجْهَهُ، انصرف عنه)[٢٣٠].

ثالثًا: تدبُّر القُرآن الكريم والأذكار التي يقولها في صلاته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد:٢٤]. فإذا تدبَّر المسلمُ أذكارَ الركوعِ والسجود، وغيرَها منَ الأذكار، كان ذلك أوعَى للقلب، وأقربَ للخُشُوع.

رابعًا: ذكْر الموت في الصلاة، فعن أبي أيوب ﷺ: أنَّ النبي ﷺ قال: (إذا قُمْتَ في صلاتكَ، فصلِّ صلاةَ مُوَدِّع)[٢٣١].

خامسًا: أن يُهَيِّئَ المصلِّي نفسَه، فلا يُصلِّي وهو حاقنٌ، ولا بحضْرة طعام، قال ﷺ: (لا صلاةَ بحضْرَةِ الطَّعام، ولا وهو يُدافعُه الأَخْبَثَان)[٢٣٢]، وأن يُزيل كلَّ ما يَشغلهُ في صلاته منَ الزخارف والصوَر ونحوها، عن عائشة ﷺ قالت: قام رسول الله ﷺ يُصَلِّي في خَميصَة ذات أعلام، فنظر إلى عَلَمِها، فلما قَضَى صلاته قال: (اذهَبوا بهذه الخميصة... فإنها أَلْهَتْني آنفاً في صَلاتي)[٢٣٣].

سادسًا: مُجَاهَدَة النفْس في الخُشُوع، فالخُشُوع ليس بالأمر السَّهْل، فلا بدَّ منَ الصبر والمجاهدة؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، ومع الاستمرار والمجاهدة يَسْهُل الخُشُوعُ في الصلاة.

سابعًا: استحضار الثواب المُترَتِّب على الخشوع؛ عن عثمان ﷺ: أن النبي ﷺ قال: (ما من امرئ مسلم تَحْضُره صلاةٌ مكتوبة، فيُحسن وضوءها، وخشوعَها، وركوعَها، إلا كانتْ كفَّارةً لما قبْلها منَ الذنوب، ما لم يُؤت كبيرة، وذلك الدهرَ كلَّه)[٢٣٤].

---

(٢٣٠) مسند أحمد رقم(٢١٥٠٨). وينظر: صحيح البخاري رقم(٧٥١).

(٢٣١) سنن ابن ماجه رقم(٤١٧١)، ومسند أحمد رقم(٢٣٤٩٨).

(٢٣٢) صحيح مسلم رقم(٥٦٠).

(٢٣٣) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٧٣)، وصحيح مسلم رقم(٥٥٦).

(٢٣٤) صحيح مسلم رقم(٢٢٨).

٤

خلاصة الوحدة

الصلاة عمود الإسلام ورأس العبادة وأعظم أركان الإسلام بعد الشهادة وهي فرقان بين الإسلام والكفر

أنشطة الوحدة

اجلس قبل أداء الصلاة بدقائق في مكان خال بعيد عن الضوضاء ووسائل التواصل مصمتا جوالك، مع التفرغ لقراءة القرآن وذكر الله، ثم أداء صلاة الفريضة بعد ذلك، ثم أجب بعد هذا هل شعرت بتحسن خشوعك في الصلاة؟ ولماذا ؟

الوحدة الخامسة

الصوارف عن العبادة

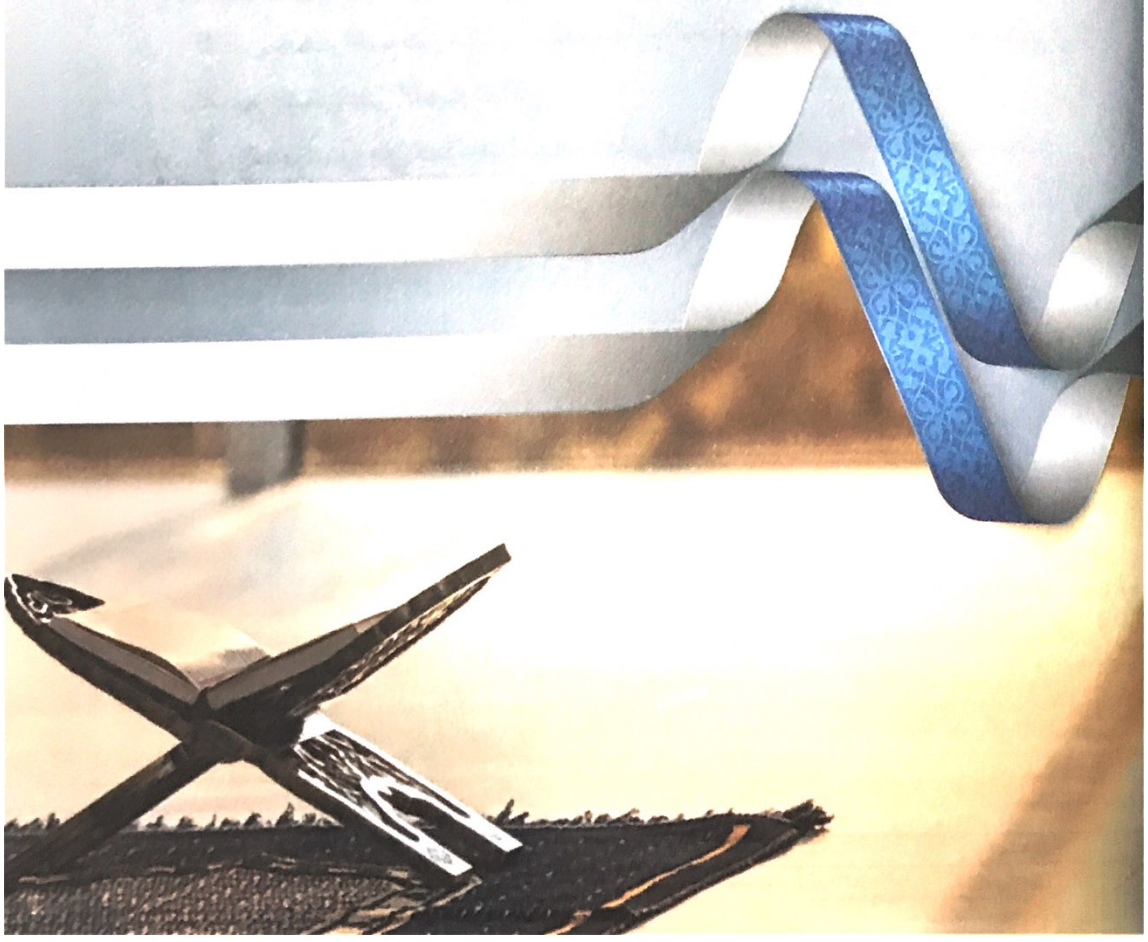

الوحدة الخامسة: الصوارف عن العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ للعبادة قُطّاع طرق يصرفون العباد عنها.
٢. أنّ الشيطان هو عدو الإنسان الأول وعداوته له أبدية.
٣. أنّ من مكائد الشيطان لبني آدم التشكيك في الدين، وتسهيل اقتراف المعصية، وتزيين الباطل في صورة الحق، والدعوة للفحشاء والمنكر والبغي، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.
٤. أنّ مما يعين على النجاة من مكائد الشيطان الإيمان بالله والإخلاص له والاستعاذة من الشيطان ودوام ذكر الله وملازمة قراءة القرآن والتوبة والاستغفار الدائم.
٥. أنّ النفس الأمارة بالسوء من صوارف العبادة، ومن طرق النجاة منها مجاهدة النفس ومحاسبتها، ولزوم التقوى، والدعاء.
٦. أنّ فتنة الحياة الدنيا من صوارف العبادة والمذموم منها هو ما اقترفته أيدي الناس بانصرافهم عن خالقها ومسخرها، والتجائهم لتلك الصوارف، وتقديمهم للنعيم الفاني على النعيم الباقي.
٧. أنّ رفقاء السوء من صوارف العبادة وعلى المسلم أن ينتقي رفقاء خير يعينونه على لزوم الطاعة، ويكونون معه ضد كل ما يحول بينه وبين عبوديته الله تعالى.

إن العبد في طريقه إلى الله يواجه قُطّاعاً لهذا الطريق، يصرفونه عن العبادة والطاعة والتقرب إلى ربه تبارك وتعالى، ففي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه سبل متفرقة على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه)، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[الأنعام:١٥٣](٢٣٥).

والصوارف عن العبادة كثيرة، من أهمها:

أولاً- إبليس... العدو الأول

إبليس مخلوق، جعله الله غيباً عنا، يرانا ولا نراه، والله ﷻ يرى إبليس، وإبليس لا يراه. يهمس إبليس في آذان الناس ويوسوس في صدورهم، دون أن يعرفوا مكانه!

والشيطان الرجيمَ هو عدوُّ الإنسان العنيد وخصمه العتيد الذي لا يزال يكيد له منذ ولادته وحتى موته، ولا يكفّ عن تزيين الشَّرِّ وطرق الضَّلال له ليسلكها ويبتعد عن طرق الرَّشاد وسُبُل الاستقامة.

والشيطان يريد إهلاكَ الإنسان بشَتَّى السُّبُل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر:٦]؛ فهو يوسوس تارةً، ويُزَيِّن المعاصي والمخالفات تارةً، ويَصُدُّ عن الطَّاعة والعبادة تارة أخرى.

وقد كانت مواجهته الأولى مع آدم عليه السلام، لما أمره الله بالسجود لآدم؛ فأبى واستكبر، فصار مطروداً من رحمة الله ورضوانه؛ إلا أن إبليس قد طلب المهلة في أجله إلى يوم الدين، فأعطاه الله هذه المهلة لحكمة أرادها سبحانه وتعالى.

وقد تكررت هذه القصة في القرآن الكريم ليعلمنا الله ﷻ عداوة إبليس لبني آدم، وخطورة هذه العداوة، واستمرارها، وطريقة كيده، وطريقة النجاة من كيده.

---

(٢٣٥) سنن ابن ماجه رقم(١١). ومسند أحمد رقم(٤١٤٢، و٤٤٣٧، و١٥٢٧٧).

ثم كانت المواجهة الثانية عندما وسوس له أن يأكل من الشجرة، وأقسم للأبوين آدم وحواء أنه لهما من الناصحين، فوقع الأبوان في المعصية ثم تابا منها، فقبل الله توبتهما.

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

عصى إبليس فاستكبر وعاند وأمعن، وعصى آدم فتاب ورجع وأذعن.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إنَّ الشيطانَ قال: وعزَّتك يا ربِّ لا أبرح أغوي عبادك ما دامتْ أرواحُهم في أجسادهم. فقال الرَّبُّ: وعزَّتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)(٢٣٦).

ثم بعد ذلك قامت العداوة الأبدية على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة:٣٦].

ثم بعد هذه العداوة الأبدية على وجه الأرض، بيّن لنا القرآن الكريم صورة اللقاء الأخير الذي سيحصل بين إبليس وبني آدم المتبعين له في نار جهنم؛ فإنه بعد أن يدخل المؤمنون الجنات، ويسكن المجرمون الدركات، يقوم فيهم إبليس عدو الله حينئذ خطيباً، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم، وغبناً إلى غبنهم، وحسرة إلى حسرتهم. فيقول: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم:٢٢].

الأمور التي يدعو الشيطان إليها:

١- الدعوةُ إلى الشِّرك والكفر:

قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [الحشر:١٦]، والشيطان لا يدعو المؤمنَ إلى الكفر مرةً واحدة؛ ولكن يستخدم في سبيل ذلك

---

(٢٣٦) مسند أحمد (١١٢٣٧)، وصححه الحاكم في مستدركه برقم(٧٦٧٢) ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢٢٨٣).

أسلوبَ التَّدَرُّج؛ من الدعوة إلى ترك الفاضل والاهتمام بالمفضول، ثم العمل على تزيين الصغائر وتهوينها، ومن الصَّغائر يستطيع إيقاعَ العبد في الكبائر، فإذا وقع العبدُ في الكبائر واستهان بها؛ تدرّج به إبليس بعد ذلك إلى الكفر والعياذ بالله.

وفي حديث النبي ﷺ أنَّ الله تعالى قال: (خَلَقْتُ عبادي حنفاء كلَّهم، وإنهم أَتَتْهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحَرَّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطانًا)[٢٣٧].

٢- التَّشْكيك في أصول الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول: مَنْ خَلَقَ كذا وكذا؟ حتى يقول له: مَنْ خَلَقَ ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولْيَنْتَه)[٢٣٨]؛ فعلاجُ تشكيك الشَّيطان في عقيدة الإنسان أن يلجأ إلى الله عز وجل، ويستعيذَ به من الشيطان، ولا يسترسل في تلك الوساوس والشُّبُهات.

٣- الصَّدُّ عن طاعة الله:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: (إنَّ الشيطان قَعَدَ لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: أتُسْلم وتَذَرُ دينَك ودينَ آبائك وآباءَ أبيك؟! فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتذر أرضك وسماءك؟ وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: هو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال؟! فعصاه فجاهد؛ فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك منهم فمات، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، ومن قُتِل كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، وإن غرق كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو وقصته دابّته كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة)[٢٣٩].

٤- الحثُّ على ارتكاب المعاصي والمخالفات:

ظهر ذلك جَليًّا حينما أغرى آدمَ عليه السلام بالأكل من الشجرة التي حَرَّمها الله تعالى

---

(٢٣٧) صحيح مسلم رقم(٢٨٦٥).

(٢٣٨) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٢٧٦) وصحيح مسلم رقم(١٣٤).

(٢٣٩) مسند أحمد رقم(١٥٩٥٨) وصححه الألباني.

عليه، ودَفَعَه بذلك إلى ارتكاب المعصية التي كانت سببًا في إخراجه وذرِّيَّته من الجنة؛ قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه:١٢٠-١٢١].

٥- الحثُّ على ارتكاب الفواحش والدَّعوة إلى التَّعرّي:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف:٢٠].

٦- إيقاع العداوة بين المؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة:٩١].

وقال النبي ﷺ: (إنَّ الشيطانَ قد أيس[٢٤٠] أن يَعْبدَه المصلُّون في جزيرة العرب؛ ولكن في التَّحريش بينهم)[٢٤١].

٧- نسيانُ ذكر الله:

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

٨- تركُ الصلاة أو التهاونُ بها:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

٩- تزيينُ الباطل في صورة الحقِّ:

وقد صرَّح الشيطان بذلك بعد أن لُعن وطُرد من رحمة الله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي

---

(٢٤٠) أيس: بمعنى يئس. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٦/ ١٩.

(٢٤١) صحيح مسلم رقم(٢٨١٢).

﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٣٩].

وقال تعالى عن الهدهد في شأن بلقيس وقومها: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[النمل:٢٤].

كيفية النجاة من مكائد الشيطان:

١- الإيمان بالله ﷻ:

إن الإيمانَ الحقيقيَّ بالله ﷻ هو الذي يَعْصم من كلِّ سوء، وينجي من كلِّ خوف وبلاء؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأنعام:٤٨].

٢- الإخلاص لله ﷻ:

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[الحجر:٤٠] فيها قراءتان؛ بكسر الصاد وفتحها.

٣- الاستعاذة بالله من الشيطان:

الاستعاذةُ بالله من الشيطان هي: الالتجاء إلى الله ﷻ، والاستجارة بجنابه من الشَّيطان الرجيم، وقد أمر الله ﷻ بها في كثير من آيات الكتاب العزيز، ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف:٢٠٠]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[الناس:١-٦].

٤- ذكرُ الله ﷻ:

عن جابر بن عبدالله ﷺ ما أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا دخل الرجل بيتَه فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيتَ لكم ولا عشاء. وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء)[٢٤٢].

٥- قراءة القرآن:

أخبر النبي ﷺ أن الشيطانَ يكره قراءةَ القرآن وينفر منها، فعن أبي هريرة ﷺ أن

(٢٤٢) صحيح مسلم رقم(٢٠١٨).

رسول الله ﷺ قال: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر؛ إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)[٢٤٣].

٦- التوبة والاستغفار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن الشيطان قال: وعزَّتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)[٢٤٤].

٧- الدعاء:

عن أبي الأزهر الأنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ (كان إذا أخذ مضجَعه من الليل قال: باسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخسئ شيطاني[٢٤٥]، وفكَّ رهاني[٢٤٦]، واجعلني في النَّدِيِّ الأعلى[٢٤٧])[٢٤٨].

(٢٤٣) صحيح مسلم رقم(٧٨٠).

(٢٤٤) سبق تخريجه.

(٢٤٥) اخسئ شيطاني: أبعد واطرد. ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي، ٩/ ٢٣٣١.

(٢٤٦) فك رهاني: أي خلص رقبتي من كل حقٍ علي، والمراد هنا نفس الإنسان لأنها مرهونة بعملها. ينظر: المرجع السابق.

(٢٤٧) أي النادي الأعلى، والنادي هم المجلس المجتمعون، والمراد اجعلني من المجتمعين في الملأ الأعلى مع الملائكة. ينظر: المرجع السابق.

(٢٤٨) سنن أبي داود رقم(٥٥٥٤) وصححه الألباني.

ثانيًا- النفس الأمارة بالسوء

في داخل كل إنسان نفسٌ تنازعه للشر وتصرفه عن الخير، قال الله تعالى حكاية عن امرأة العزيز: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣].

وإذا تمكّنت النفس الأمارة بالسوء من صاحبها جعلته أسيرًا للهوى، وأكثر عرضة من غيره إلى الشر.

والنفس تضعف وتحتاج على الدوام لتربية وجهاد، وكلما استقامت على العبادة والطاعة ولزمت طريقهما؛ كلما ازدادت قوة وتمكّنت من كسر الشهوة وانقادت لأمر الله.

ومن أمثلة من استجاب لنوازع الشر في نفسه: أحد ابني آدم الذي قتل أخاه حسداً وبغياً. قال الله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠].

طرق النجاة من النفس الأمارة بالسوء:

١- مجاهدة النفس:

المراد: حملها على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، وعدم الانسياق وراء شهوات النفس التي توقع الإنسان في المعاصي والآثام.

وقد بيّن الله تعالى للإنسان طبيعة نفسه وحاجتها الدائمة للزجر والتهذيب، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

والمجاهدة طريق الهداية؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أجمعين حين استخلفه: "إن أول ما أحذرك: نفسك التي بين جنبيك".(٢٤٩)

(٢٤٩) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ١/ ٤٩٠.

٢- الدعاء:

عن أبي هريرة ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت، وإذا أمسيت، قال: (قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه) قال: (قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك)[٢٥٠].

ثالثًا- فتنة الحياة الدنيا

جعل الله الدنيا عَرَضاً عاجلاً، ومتاعا غرورا، وحفّها بالشهوات وزينها بها.

وقد شبه الله سبحانه الحياة الدنيا عندما تتزين في عين الناظر؛ بالأرض التي ينزل الغيث عليها فتعشب ويحسن نباتها ويروق منظرها للناظر، فيغتر به، ويظن أنه قادر عليه، مالكٌ لها، فيأتيها أمر الله فتدرك الآفة نباتها بغتة، فتصبح كأن لم تكن من قبل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:٢٤].

كما بيّن الله تعالى في معرض ثنائه على العابدين أنّ الحياة الدنيا لا تصرفهم عن العبادة، فقال سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٧].

فالمذموم من الحياة الدنيا هو ما اقترفته أيدي الناس عندما اغتروا بها وانصرفوا عن خالقها ومسخّرها الذي إليه المعاد وعليه الحساب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[فاطر:٥].

يقول أمير المؤمنين عمر ﷺ: (فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلستُ، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه، فنظرت ببصري في خزانة رسول الله ﷺ فإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظاً في

(٢٥٠) سنن أبي داود رقم(٥٠٦٧)، وسنن الترمذي رقم(٣٣٩٢).

ناحية الغرفة. قال: فابتدرتْ عيناي، قال ﷺ: ما يبكيك يا ابن الخطاب؟! قلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي، وهذا الحصير قد أثّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك قيصر وكسرى في الثمار والأنهار، وأنت رسول الله ﷺ وصفوته وهذه خزانتك؟! فقال: يا ابن الخطاب ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا، قلت بلى)[٢٥١].

رابعًا- رفقة السوء

من أخطر ما يصرف المسلم عن عبادة ربه ﷻ: رفاق السوء الذين يدفعونه إلى المعاصي والشبهات، ويثبطونه عن الخير والطاعات.

وقد جاء التحذير منهم في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)[٢٥٢].

ورفاق السوء لا يقلون خطراً عن إبليس، لذلك جاءت الاستعاذة منهم في سورة الناس، مقترنين مع إبليس عدو الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس: ١-٦].

وفي المقابل يوصي الله تعالى نبيه بالصبر والاستمساك بمجالس الصالحين، والبعد عن الغافلين، ويقول: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(٢٥١) صحيح مسلم رقم(١٤٧٩).

(٢٥٢) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٥٣٤)، وصحيح مسلم واللفظ له رقم(٢٦٢٨).

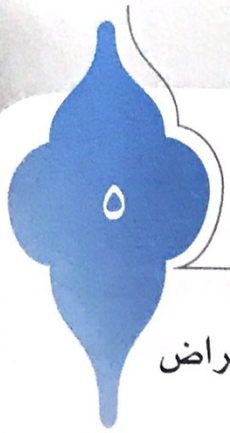

خلاصة الوحدة

على المسلم مجاهدة نفسه ولزوم عتبة العبودية والإعراض عن كل داعٍ يريد أن يصده عن العبادة ويشغله بغيرها .

أنشطة الوحدة

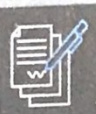

١. اذكر الآيات التي بينت حال رفقاء السوء مع بعضهم في يوم القيامة ؟

٢. كيف يمكن للمسلم أن يجعل بينه وبين صوارف العبادة حاجزا يعصمه ويحفظه منها ؟

٣. كيف يكون حال الشيطان مع المجرم في يوم القيامة؟

٤. **ما هي طريقة كيد الشيطان بابن آدم في الآيات التالية :**

١- قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

٢- قوله تعالى : (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما)

٣- قوله تعالى: (وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين)

٦ | الوحدة السادسة

التفريط في العبادة

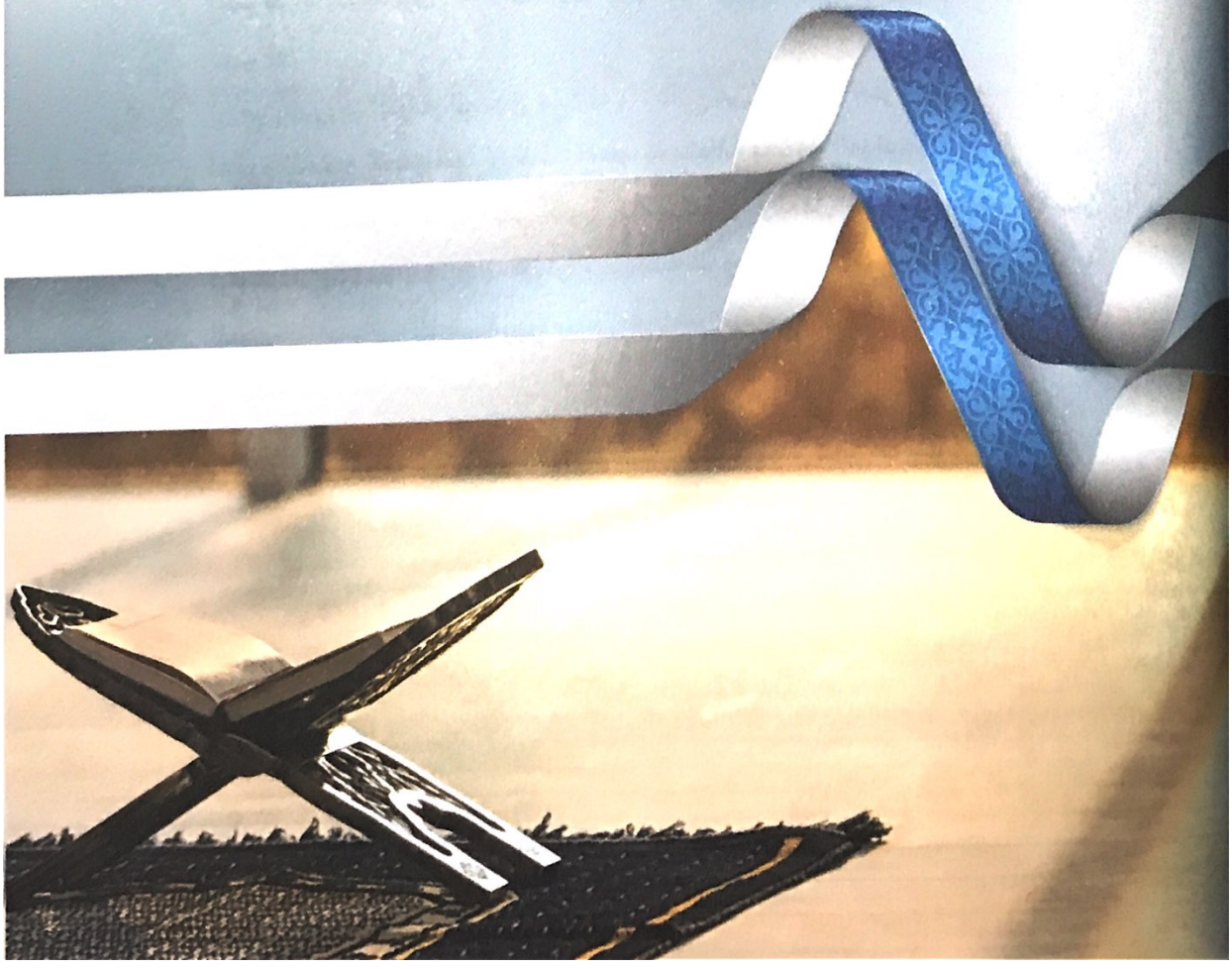

الوحدة السادسة: التفريط في العبادة

تهدف هذه الوحدة إلى بيان :

١. أنّ التفريط في العبادة يكون بارتكاب المعصية والوقوع في الذنب.
٢. أنّ من آثار المعصية إفساد العقل وحرمان العلم، وحصول الوحشة، وإطفاء نار الغيرة وذهاب الحياء،وحرمان الطاعة، وضعف القلب عن إرادة التوبة.
٣. أنّ المعصية سبب هوان العبد عند ربه وسقوطه من عينه.
٤. أنّ المعصية تطبع على قلب صاحبها حتى يكون من الغافلين عنها والمتساهلين والمستصغرين لها الذين زال عنهم الشعور بقبحها.
٥. أنّه ينبغي أن يكون حال المسلم مع المعصية حال المجتنب المستعظم لها، والبعيد عن أسبابها، والخائف من عقوبتها، والنادم على الوقوع فيها، والمستحي من الله بسببها.
٦. أنّ الله تعالى يقبل توبة التائب وندم النادم ويفرح برجوع العاصين، فعلى العابد المفرّط ألا يقنط من رحمة ربه ويبادر بالتوبة ويعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.
٧. أنّ من شروط التوبة الصدق مع الله والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم الرجوع له ورد الحقوق لأصحابها إن كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد.
٨. أنّ للذنوب مكفّرات عشرة هي التوبة، والاستغفار، والعمل الصالح، ودعاء المؤمنين لبعضهم، ودعاء النبي واستغفاره وشفاعته للمؤمنين، وكل عمل صالح يُرفع ثوابه للميت، والمصائب الدنيوية، وما يبتلى به المؤمن في قبره، وكرب أهوال يوم القيامة، ورحمة الله وعفوه بلا سبب من العباد.

المسلم في طريقه لله بين شدّ وجذب، فحينًا تغلبه نفسه الأمارة وحينًا يغلبها، وقد تضعف نفسه عن فعل الطاعة، وقد تتقوى عليها.

والتفريط في العبادة يكون بارتكاب المعصية، والمعصية تقع في الطرف المقابل للعبادة، وهي تعني مخالفة أوامر الله وفعل نواهيه.

والأصل الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم هو ملازمة التقوى ومجاهدة النفس عليها؛ لأنه بقدر ملازمته لها يتقوى على الشهوات ويعصمه الله منها.

ومثلما أنّ العابد كلما جاهد نفسه في الاستكثار من الطاعة وُفّق للعمل الصالح، وكلما اجتهد في تحصيلها وجد آثارها عليه، فإن العاصي كلما أسرف على نفسه وضيّع طريق التعبد لله وجد ذل المعصية ورأى آثارها عليه بقدر تماديه فيها.

آثار المعصية

للمعصية من الآثار القبيحة والعقوبات الأليمة ما ينفّر كل ذي قلب سليم عنها، ومن هذه الآثار:

١- **إفساد العقل وحرمان العلم:** فإن للعقل نورًا، والمعصية تطفئ نور العقل ولا بد، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقد جلس الإمام الشافعي بين يدي الإمام مالك، وقرأ عليه فلمّا أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، قال: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية. وقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

٢- **حصول الوحشة:** فالمعصية تورث وحشة بين العاصي وبين الله لا يحس بها غيره، وتورث وحشة بينه وبين الناس كما قال بعض السلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُق دابتي وامرأتي.

٣-**إطفاء نار الغيرة وذهاب الحياء:** والحياء مادة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، وفي الحديث قال ﷺ: (الحياء خير كله)[٢٥٣]، وقال: (الحياء لا يأتي إلا بخير)[٢٥٤]، وقال: (إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)[٢٥٥]. وربما ينسلخ من القلب استقباح المعصية، فتصير له عادة، فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، ولا كلامهم فيه، وهذا مقصودٌ عند بعض أرباب الفسوق؛ حتى يفتخر أحدهم بالمعصية، ويحدث بها من لم يكن يعلم أنه عملها، فيقول: يا فلان، عملت كذا وكذا، وهذا الضرب من الناس لا يُعافون، وتسد عليهم طريق التوبة، وتغلق عنهم أبوابها في الغالب؛ كما قال النبي ﷺ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ)[٢٥٦].

٤- **زوال النعم وحلول النقم:** فما زالت عن العبد نعمة إلا بسبب ذنب، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠]. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع بلاء إلا بتوبة)[٢٥٧].

٥- **الشعور بالذلّة وصَغار النفس:** فكما أن الطاعة تنمي النفس وتزكيها؛ فإنّ المعصية تورث الذل والهوان والخسران لصاحبها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾[الشمس:٩-١٠].

٦- **الوقوع في أسْر الشيطان:** فالعاصي دائمًا في أسر شيطانه، وسجن شهواته، وقيود هواه، فهو أسيرٌ مسجون مقيد، وكلما ابتعد عن المعبود الحق -وهو الله عز وجل- تجاذبته المعبودات الأخرى.

٧- **نسيان العبد نفسه والتمادي في الإهمال والعصيان:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[الحشر:١٩]. وإنساء العبدِ نفسَه: هو

---

(٢٥٣) صحيح مسلم رقم(٣٧).
(٢٥٤) صحيح البخاري رقم(٦١١٧).
(٢٥٥) صحيح البخاري رقم(٦١٢٠).
(٢٥٦) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(٦٠٦٩)، وصحيح مسلم رقم(٢٩٩٠).
(٢٥٧) ينظر: طريق الهجرتين، لابن القيم، ١/٤١٥.

إنساؤه لحظوظها العالية، وأسباب سعادتها وفلاحها وإصلاحها وما يكملها، وأيضًا ينسيه عيوب نفسه ونقصها وآفاتها، فلا يخطر بباله إزالتها وإصلاحها.[٢٥٨]

وقال سبحانه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، ونسيان الله سبحانه للعبد: إهماله وتركه وتخلّيه عنه وإضاعته.[٢٥٩]

٨- **ضنك العيش في الدنيا والعذاب في الآخرة:** قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[طه:١٢٤].

٩- **حرمان الطاعة:** ولو لم يكن للذنب عقوبة إلا أنه يصد عن طاعة تكون بدله، ويقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه طريق ثالثة، ثم رابعة، وهلم جرا، فينقطع عليه بالذنب طاعات كثيرة، كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها.

١٠- **ضعف القلب عن إرادة التوبة:** فتقوى في القلب إرادة المعصية، وتضعف إرادة التوبة شيئًا فشيئًا، إلى أن تنسلخ من قلبه إرادة التوبة بالكلية، فلو مات نصفه لما تاب إلى الله! فيأتي بالاستغفار وتوبة الكاذبين باللسان الشيء الكثير، وقلبه معقود بالمعصية مصرّ عليها، عازم على مواقعتها متى أمكنه، وهذا من أعظم الأمراض وأقربها إلى الهلاك.

١١- **استصغار المعصية وزوال قبحها:** وهذا علامة للهلاك؛ فإن الذنب كلما صَغُر في عين العبد عَظُم عند الله تعالى. وعن ابن مسعود ﷺ قال: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فطار)[٢٦٠].

١٢- **سبب هوان العبد على ربه وسقوطه من عينه:** قال الحسن البصري: "هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم"[٢٦١]. وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج:١٨].

---

(٢٥٨) ينظر: تفسير ابن كثير، ٨/ ١٠٦، م، وتفسير السعدي، ص٨٥٣.

(٢٥٩) ينظر: تفسير السعدي، ص٣٤٣.

(٢٦٠) رواه البخاري رقم(٦٣٠٨) عن ابن مسعود ﷺ موقوفاً عليه.

(٢٦١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، ص: ٣٨.

١٣- **الطبعُ على قلب صاحبها:** فإذا طُبعَ عليه صار من الغافلين، ولا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤]، قال: هو الذنب بعد الذنب.

١٤- **ضعف تعظيم الرب ﷻ في القلب:** ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه. ثم ينزع الله ﷻ مهابة هذا العاصي من قلوب الخلق، فيهون عليهم، ويستخفون به كما هان عليه أمر الله واستخف به.

حال المسلم مع المعصية

يتلخص موقف المسلم الذي ينبغي أن يكون عليه تجاه المعصية في الأمور التالية:

١- اجتناب المعصية:

لا يزال المسلم المستمسك بعبادة الله محاذرا أن يقع في معصية الله تعالى، ويتقي ما يُسخط الله، ملتزما أمر الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤].

٢- البعد عن أسباب الوقوع في المعصية:

لا يكتفي المسلم بمجانبة المعصية؛ بل عليه ألا يقترب منها، وأن يبتعد عن أسبابها. ومن أمثلة ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٣٢] ونهي الله عن القرب من الزنا أبلغ من النهي عن مواقعته، فالنهي عن قربان الشيء هو نهيٌ عن فعله، ونهيٌ عن ملابسة الأسباب التي قد توصل إليه. وقال الله تعالى عن حدوده: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[البقرة:١٨٧].

وفي حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الحلال بيّنٌ، وإن الحرام بيّنٌ، وبينهما أمور مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمىً، ألا وإن حمى الله محارمُه، ألا وإن في الجسد مضغةً إذا صلَحت صلَح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[٢٦٢].

(٢٦٢) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٥٢)، وصحيح مسلم رقم(١٥٩٩).

٣- عدم استصغار المعصية:

على المسلم المطيع لربه أن يكون حذراً من الذنوب والمعاصي، وأن لا يرتكبها بحجة أنها صغيرة أو غير مؤثرة أو غير ضارة، فإن المحقرات لا تزال بالمرء حتى تهلكه، والصغائر إذا اجتمعت صارت كبيرة.

قال رسول الله ﷺ: (إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعودٍ وذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه).[٢٦٣]

وإذا علم العبد أن مثقال الذرة مكتوبٌ ومجازىً عليه كان متقياً لها، خائفاً من الوقوع فيها، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة:٨]. وقال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩]. فأهل النار بدؤوا بالشكوى من السيئات الصغيرة قبل الكبيرة.

٤- الخوف من عقوبة المعصية وعدم الأمن من عذاب الله:

فالمسلم لا يزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفه مستمرٌّ إلى أن يسمع قول الملائكة الموكلة بقبض روحه ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت:٣٠] فَهُنَاكَ يَزُولُ الخَوْفُ[٢٦٤].

وكيف لا يخاف وهو يسمع قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[النساء:١٤].

وقد كان رسول الله خير البشرية وأزكاها ﷺ يستعيذ بالله من آثار المعاصي فيقول: (نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا)[٢٦٥].

---

(٢٦٣) مسند أحمد رقم(٣٨١٨).

(٢٦٤) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/ ٢٠٣.

(٢٦٥) سنن الترمذي رقم(١١٠٥)، وسنن أبي داود رقم(١٠٩٧)، وسنن النسائي رقم(١٤٠٤)، وسنن ابن ماجه رقم(١٨٩٣).

٥- الندم على الوقوع في المعصية:

عندما يقع المسلم في المعصية؛ فإنه سرعان ما يخالجه الندم؛ لأنه يتذكر نعمة الله عليه، ويتذكر عظمة الله وإحسانه عليه، ثم يتذكر مقابلة هذه النعم من قبله بالتقصير والعصيان.

والندم ركنٌ أساسٌ في التوبة إلى الله تعالى، وكيف يكون تائباً وهو أساساً لم يشعر بالندم على معصيته؟!

فالتوبة "انخلاع قلبه، وتقطّعه ندمًا وخوفًا، وهذا على قدر عظم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عيينة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة:١١٠] قال: تقطُّعها بالتّوبة. ولا ريب أنّ الخوف الشّديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطّعه، وهذا حقيقة التّوبة، لأنّه يتقطّع قلبه حسرةً على ما فرط منه، وخوفًا من سوء عاقبته"[٢٦٦].

٦- الذل لله خجلاً وحياء بسبب الوقوع في المعصية:

ينكسر المسلم لله سبحانه وتعالى خجلاً وحياء عند وقوعه في معصية ما، وكيف لا؟ وهو قد خالف أمر المنعم المتفضل المبتدئ بالإحسان.

"ومن موجبات التّوبة الصّحيحة أيضًا: كسرةٌ خاصّةٌ تحصل للقلب لا يشبهها شيءٌ، تكسر القلب بين يدي الرّبّ كسرةً تامّةً، قد أحاطت به من جميع جهاته، وألقته بين يدي ربّه طريحًا ذليلًا خاشعًا...

فللّه ما أحلى قوله في هذه الحال: أسألك بعزّك وذلّي إلّا رحمتني، أسألك بقوّتك وضعفي، وبغناك عنّي وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثيرٌ، وليس لي سيّدٌ سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلّا إليك، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذّليل، وأدعوك دعاء الخائف الضّرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذلّ لك قلبه.

(٢٦٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/ ٢٠٤.

يا مـن ألوذ بـه فيـما أؤمّلـه ... ومن أعـوذ به ممّـا أحـاذره
لا يجبر النّاس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنـت جابره"[٢٦٧].

٧- عدم اليأس والقنوط من رحمة الله:

إن خوف المسلم من عقوبة معصيته لا يدفعه للقنوط من رحمة الله فهو يعلم يقينا أن (كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[٢٦٨] كما أخبر بذلك النبي الكريم ﷺ.

ومن أعظم ما يقوّي الرجاء في نفسه: علمُه بأن الله قد نادى عباده المذنبين، وفتح لهم باب التوبة من جميع الذنوب والمعاصي، قال الله تعالى: ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر:٥٣-٥٤].

بل إنه سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (للَّه أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَة عَبْده حينَ يَتُوبُ إلَيْه منْ أَحَدكُمْ كَانَ عَلَى رَاحلَته بأَرْض فَلَاة فَانْفَلَتَتْ منْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيسَ منْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظلِّهَا قَدْ أَيسَ منْ رَاحلَته فَبَيْنَا هُوَ كَذَلكَ إذَا هُوَ بهَا قَائمَةً عنْدَهُ فَأَخَذَ بخطَامهَا ثُمَّ قَالَ منْ شدَّة الْفَرَح اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ منْ شدَّة الْفَرَح)[٢٦٩].

فكيف يقنط الإنسان ويأس بعد هذا كله من رحمة الله؟!

٨- التوبة إلى الله عند الوقوع في المعصية:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم:٨].

(٢٦٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ١/ ٢٠٤.
(٢٦٨) سنن الترمذي رقم(٢٤٩٩). وسنن ابن ماجه رقم(٤٢٥١). ومسند أحمد رقم(١٣٠٤٩).
(٢٦٩) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٦٣٠٨)، وصحيح مسلم واللفظ له رقم(٢٧٤٧).

وشروط التوبة:

مكفرات الذنوب:

من رحمة الله تعالى أنه جعل لذنوب العباد مكفّرات مسقطاتٍ لعقوبتها، منها:

الأول - التوبة:

فإن التائب من الذنب كمن لاذنب له، والتوبة مقبولة من جميع الذنوب حتى الكفر والفسوق والعصيان.

الثاني - الاستغفار:

الاستغفار طلب المغفرة وهو من جنس الدعاء والسؤال، وهو مقرونٌ بالتوبة في الغالب ومأمورٌ به، ولكن قد يتوب الإنسان ولا يدعو وقد يدعو ولا يتوب.

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، فيما يحكي عن ربه ﷻ، قال: (أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعَلِمَ أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك)[٢٧٠].

الثالث- الأعمالُ الصالحة:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود:١١٤].

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ يوصيه: (يا معاذ اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)[٢٧١].

وقال النبي ﷺ: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)[٢٧٢].

وقال ﷺ: (الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)[٢٧٣].

---

(٢٧٠) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٧٥٠٧). وصحيح مسلم واللفظ له رقم(٢٧٥٨).

(٢٧١) سنن الترمذي رقم(١٩٨٧).

(٢٧٢) صحيح مسلم رقم(٢٣٣).

(٢٧٣) سنن الترمذي رقم(٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح. وسنن ابن ماجه رقم(٤٢١٠).

وقال ﷺ: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[٢٧٤].

وقال ﷺ: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٢٧٥].

الرابع- دعاءُ المؤمنين له:

إن دعاءَ المؤمنين واستغفارَهم للمؤمن، وصلاتَهم على الميت ودعاءَهم وشفاعتهم له، كلها من أسباب المغفرة، وكذلك استغفار الملائكة له وشفاعتهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].

الخامس- دعاءُ النبي ﷺ واستغفاره للمؤمنين في حياته، وشفاعته لهم يوم القيامة بعد مماته:

استغفر رسول الله ﷺ لأمته إبّان حياته، وسيشفع لمن أُذِنَ له من أمته يوم القيامة، وتواترت عنه أحاديث الشفاعة، كقوله ﷺ في الحديث الصحيح: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[٢٧٦] والشفاعة إنما تُطلب من الله، فنسألُ الله أن يشفّع فينا نبيه صلوات الله عليه وسلامه وبركاته.

السادس- ما يُفعل بعد الموت من عمل صالح يُهدى له:

مثلُ من يتصدّقُ عنه ويحج عنه ويصوم عنه، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن ذلك يَصِلُ إلى الميت وينفعُه، وهذا غيرُ دعاءِ ولدِه فإن ذلك من عمله وكسبه بخلاف غيره، قال النبي ﷺ: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له)[٢٧٧].

(٢٧٤) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(٣٨)، وصحيح مسلم رقم(٧٦٠).
(٢٧٥) متفق عليه، صحيح البخاري رقم(١٨٢٠)، وصحيح مسلم رقم(١٣٥٠).
(٢٧٦) سنن أبي داود رقم(٤٧٣٩)، وسنن الترمذي رقم(٢٤٣٥).
(٢٧٧) صحيح مسلم رقم(٢٦٨٢).

السابع- المصائبُ الدنيوية التي يُكفّرُ الله بها الخطايا:

قال النبي ﷺ: (ما يصيبُ المؤمنَ من وَصَبٍ ولا نَصَبٍ ولا غمٍّ ولا همٍّ ولا حُزْنٍ ولا أذى، حتى الشوكةَ يشاكُهَا؛ إلا كَفَّر الله بها من خطاياه)[٢٧٨].

الثامن- ما يُبتلى به المؤمن في قبره:

مما يبتلى به المؤمن في قبره: الضغطة، وسؤال الملكين، وإن للقبر لضمّة لو نجا منها أحدٌ لنجا منها سعدُ بن معاذ رضي الله عنه[٢٧٩].

التاسع- ما يحصلُ له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة:

وهي شديدة جداً، وكُرَبِ يوم القيامة لا تشبهُها كُربٌ، كالفزع والحشر وإدناء الشمس على الخلائق والعطش وجوازِ الصراط المنصوب على متن جهنّم وغير ذلك، وكذلك اقتصاص الله تعالى لعباده المؤمنين من بعضهم قبل دخول الجنة، وقد أخبر رسول الله ﷺ (أن المؤمنين إذا عَبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيُقتصُّ لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبُوا ونقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة)[٢٨٠].

العاشر- رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد:

رحمة الله تعالى أرجى من أعمال عباده، ومغفرته أوسع من ذنوبهم.

---

(٢٧٨) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له رقم(٥٦٤١)، وصحيح مسلم رقم(٢٥٧٢).

(٢٧٩) ينظر: مسند أحمد رقم(٢٤٢٨٣)، وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٢٨٠) صحيح البخاري رقم(٢٤٤٠).

خلاصة الوحدة

١- الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم هو ملازمة التقوى والعمل الصالح،والبعد عن المعاصي وأسبابها.

٢- القرب من الله يورث الراحة والسعادة والأمن، والبعد من الله يورث القلق والاضطراب والخوف .

٣- يوفق الله العبد للطاعة ويحببه منها وبقدر قربه من الله ستكون في نفسه وحشة من الذنوب وكراهية لها ونفرة عنها حتى تعرض له المعصية ويترفع عنها لأن من ذاق حلاوة الإيمان عرف معنى العزة ولزم بابها .

أنشطة الوحدة

١. ما موقف المسلم تجاه المعصية؟

قبل المعصيـــة	بعد المعصيـــة

٢. ما هو التفصيل في أحوال العودة للذنب مرة أخرى بعد التوبة؟ وأثره على قبول التوبة؟

الخاتمـــة

خلاصـات

قائمة المراجع

فهرس المحتويات

خلاصات

في ختام الكتاب...

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله من العلم النافع الذي يقربنا إليه.

وهذه أبرز خلاصات الكتاب :

أولا: الوحي مصدر مستقل في التشريع، نتلقى منه المعرفة الدينية، ونتعبد الله به. وله مصادر يُستعان بها في الإدراك والإثبات هي الفطرة والحس والعقل.

ثانيا: من القواعد المهمة التي يتأسس عليها بنيان الإيمان بالله: قاعدة التسليم لله تعالى، وقضايا الإيمان تستند على الإيمان بالغيب.

ثالثا: أركان الإيمان ستة: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، لا يتم إيمان المسلم إلا بها.

رابعا: أسماء الله وصفاته تصنع في القلب ألواناً من العبودية، يتعبد بها المسلم لله.

خامسا: العبادة حقٌ لله تعالى على خلقه، وتحقيقها هو الغاية من الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب.

سادسا: العبادة والخضوع لله تعالى شرفٌ وسموٌ، وهي أجل مقامات الإنسان في الدنيا.

سابعا: الجرأة على الوقوع في المعاصي مما يضعف الإيمان في القلب، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع

- **الإحكام في أصول الأحكام**، تأليف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **الأدب المفرد**، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **البداية والنهاية**، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- **بدائع الفوائد، تأليف**: شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- **تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك**، تأليف: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ.
- **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تأليف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- **تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم**، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.
- **تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

-**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

- **تهذيب اللغة، تأليف:** أبو منصور محمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وإبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وعبد العزيز بن إبراهيم، وحمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية،١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، تأليف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،

- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، تأليف: أبو نعيم الأصبهاني، الناشر: السعادة، بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

- **خلق أفعال العباد**، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية، الرياض.

- **درء تعارض العقل والنقل**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

- **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، تأليف: موريس بوكاي، الناشر: دار الأفكار، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩١م.

- **ديوان أبي العتاهية، الناشر:** دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- **ديوان إيليا أبو ماضي**، تأليف: إيليا أبو ماضي، تقديم: سامي الدهان، دراسة: زهير ميرزا، الناشر: دار العودة- بيروت [بدون طبعة أو تاريخ نشر].

- **الرسالة، تأليف:** الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ-١٩٤٠م.

- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تأليف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ-

١٩٩٤م.

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، تأليف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ- ١٤٢٢هـ.

- **سنن ابن ماجه**، تأليف: ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ومحمَّد كامل قره بللي، وعَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- **سنن أبي داود**، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرناؤوط، ومحَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- **سنن الترمذي= الجامع الكبير**، تأليف: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تأليف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

- **شرح السنة**، تأليف: محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- **شرح العقيدة الطحاوية**، تأليف: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

-**شرح النووي على صحيح مسلم**، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

- **شعب الإيمان**، تأليف: أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، إشراف: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تأليف: شمس الدين ابن

قيم الجوزية، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
- **الصحاح= تاج اللغة وصحاح العربية**، تأليف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- **صحيح ابن حبان**، تأليف: أبو حاتم محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- **صحيح البخاري**= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **صحيح الترغيب والترهيب**، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- **صحيح مسلم**= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت [بدون طبعة أو تاريخ نشر].
- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، تأليف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **الطبقات الكبرى**، تأليف: أبو عبد الله محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨م.
- **العبودية**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، تأليف: محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

- **غذاء الألباب شرح منظومة الآداب**، تأليف: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تأليف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وإشراف: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- **فتح القدير**، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، تأليف: عبد الرؤوف المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

- **القاموس المحيط**، تأليف: مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

- **كتاب التعريفات**، تأليف: علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وضبط: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

- **كتاب العين**، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- **لسان العرب**، تأليف: جمال الدين ابن منظور الإفريقى، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.

- **المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي**، تأليف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تأليف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، تأليف: أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- **المستدرك على الصحيحين**، تأليف: أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تأليف: أحمد الفيومي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
- **المعجم الأوسط**، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.
- **المعجم الكبير**، تأليف: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م.
- **معجم مقاييس اللغة**، تأليف: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، تأليف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- **الموسوعة العربية العالمية**، تأليف: مجموعة من العلماء والباحثين، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- **النبوات**، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تأليف: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تأليف: شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

المراجع الانجليزية

- **God's Testimony: The Divine Authorship of the Quran,** at the following website: https://www.hamzatzortzis.com/gods-testimony-the-divine-authorship-of-the-quran/

- **Goldocks Engima:Why Is the Universe Just Right for Life?,** By Paul Davies, Published by Houghton Mifflin, 2008.

- **Natural-theological Understanding from Childhood to Adulthood,** By Olivera Petrovich, Published by Routledge, 2018.

- **Rare Earth: Why Complex Life is Uncommom in the Universe,** By Peter D.Ward and Donald Brownlee, Published by Copernicus books, 2000.

- **The Miracle of Theism,** By J. L. Mackie. Published by Clarendon Press, 1982.

فهرس المحتويات

المقدّمة	٥
نظرة عامة حول مصادر المعرفة الدينية	**٧**
أهمية مصادر المعرفة	٩
آلية التعامل مع مصادر المعرفة الدينية	٩
أقسام مصادر المعرفة الدينية	١٣
- المصدر الأصلي: الوحي	١٤
حقيقة الوحي	١٤
صور الوحي	١٥
- المصادر المساندة التي أقرّها الوحي ورسم حدودها	١٧
أولاً- الفطرة	١٧
ثانيا- الحس	٢٠
ثالثًا- العقل	٢٢
منشأ الصراع بين العلم والدين	٢٥
العلاقة بين العقل والوحي	٢٨
طريقة التعامل مع الشبهات	٢٩
الإيمان حقيقته وأركانه	**٣٥**
مدخل إلى مسائل الإيمان	٣٧
أهمية الإيمان بالغيب	٣٩
معنى الإيمان	٤٠
أركان الإيمان	٤٢

الوحدة الأولى: الإيمان بالله	٤٧
منزلة الإيمان بالله:	٤٩
صفة الإيمان بالله إجمالاً	٤٩
أمثلة الكفر بالله	٥٠
صفة الإيمان بالله تفصيلاً	٥١
الإيمان بوجود الله وربوبيته سبحانه وتعالى وأدلته	٥١
أدلة الإيمان بوجود الله وربوبيته تعالى	٥١
أولا- دليل الفطرة	٥١
ثانيا- دليل الحس	٥٣
ثالثا- أدلة العقل	٥٤
الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى وأدلته	٥٩
الإيمان بتوحيد العبادة وأدلته	٦٠
أدلة الإيمان بتوحيد العبادة	٦٠
ثمرات الإيمان بالله	٦٣
الوحدة الثانية: الإيمان بالملائكة	٦٩
منزلة الإيمان بالملائكة	٧١
صفة الإيمان بالملائكة إجمالاً	٧١
صفة الإيمان بالملائكة تفصيلاً	٧٢
ثمرات الإيمان بالملائكة	٧٧
الوحدة الثالثة: الإيمان بالكتب	٨١
منزلة الإيمان بالكتب	٨٣
حكم الإيمان بالكتب	٨٣
الحكمة من إنزال الكتب	٨٣
صفة الإيمان بالكتب إجمالاً	٨٤
صفة الإيمان بالكتب تفصيلا	٨٥
أولا الإيمان بالكتب السماوية السابقة قبل القران الكريم	٨٥
تحريف الكتب السابقة	٨٦
ثانيا الإيمان بالقرآن الكريم	٨٨
مزايا القرآن عن الكتب السابقة	٨٩

دلائل ثبوت القرآن الكريم	٨٩
الوحدة الرابعة: الإيمان بالرسل	٩٧
منزلة الإيمان بالرسل	٩٩
الحكمة من إرسال الرسل	١٠٠
صفة الإيمان بالرسل إجمالا	١٠١
صفة الإيمان بالرسل تفصيلا	١٠١
أولا حقيقة النبوة	١٠١
ثانيا وظائف الرسل عليهم السلام	١٠٢
ثالثا الإسلام دين جميع الأنبياء	١٠٢
رابعا الرسل بشر لا يعلمون الغيب	١٠٣
خامسا عصمة الرسل	١٠٤
سادسا عدد الأنبياء والرسل وأفضلهم	١٠٤
سابعا الإيمان بنبوة محمد ﷺ	١٠٧
ثامنا دلائل نبوّة محمد ﷺ	١٠٧
تاسعا ما يتضمنه الإيمان بنبوة محمد ﷺ	١١٢
عاشرا حقوق نبينا محمد ﷺ	١١٣
الوحدة الخامسة: الإيمان باليوم الآخر	١١٩
منزلة الإيمان باليوم الآخر	١٢١
صفة الإيمان باليوم الآخر إجمالا	١٢١
صفة الإيمان باليوم الآخر تفصيلا	١٢١
أولاً- فتنة القبر	١٢١
ثانياً- عذاب القبر ونعيمه	١٢٢
ثالثا- البعث	١٢٢
رابعًا- الحشر	١٢٤
خامسا- الحساب والجزاء	١٢٤
سادسًا- الجنة والنار	١٢٥
الجنة	١٢٥
النار	١٢٨
ثمرات الإيمان باليوم الآخر:	١٣٠

الوحدة السادسة: الإيمان بالقدر	١٣٥
منزلة الإيمان بالقدر	١٣٧
صفة الإيمان بالقدر إجمالا	١٣٧
صفة الإيمان بالقدر تفصيلا	١٣٨
أولا مراتب القدر	١٣٨
ثانيا أقسام التقدير	١٣٩
ثالثا مسألة أفعال العباد	١٣٩
رابعاً مسألة الاحتجاج بالقدر	١٤٠
خامسا مسألة الأخذ بالأسباب	١٤١
ثمرات الإيمان بالقدر	١٤٣
الوحدة السابعة: نواقض الإيمان	١٤٧
تعريف النواقض	١٤٩
نواقض الإيمان	١٤٩
الغلو في التكفير	١٥٥
العبادة حقيقتها وطريقها	١٥٩
الوحدة الأولى: حقيقة العبادة	١٦٣
حكمة الخلق	١٦٥
معنى العبادة وأركانها	١٦٧
مرادفات العبادة في القرآن الكريم	١٦٨
حُكم العبادة	١٦٨
أشكال العبادة	١٦٩
شمولية العبادة	١٧٠
أثر دخول النيّة على الأعمال	١٧١
شرف العبودية لله تعالى	١٧٢
الوحدة الثانية: محركات العبادة	١٧٧
معرفة المعبود	١٧٩
محركات القلوب	١٨٤
المحرك الأول- حب الله	١٨٤

المحرك الثاني- الرجاء	١٨٧
المحرك الثالث- الخوف	١٨٩
الوحدة الثالثة: قبول العبادة	١٩٥
شروط قبول العبادة	١٩٧
حال المسلم مع العبادة	٢٠٠
الوحدة الرابعة: رأس العبادة	٢٠٧
صلاة الجماعة للرجال	٢١١
الخشوع في الصلاة:	٢١٢
مراتب الناس في الخشوع في الصلاة	٢١٣
الأمور المعينة في الخشوع في الصلاة	٢١٤
الوحدة الخامسة: الصوارف عن العبادة	٢١٩
أولًا- إبليس... العدو الأول	٢٢١
ثانيًا- النفس الأمارة بالسوء	٢٢٧
ثالثًا- فتنة الحياة الدنيا	٢٢٨
رابعًا- رفقة السوء	٢٢٩
الوحدة السادسة: التفريط في العبادة	٢٣٣
آثار المعصية	٢٣٥
حال المسلم مع المعصية	٢٣٨
مكفرات الذنوب	٢٤٣
خاتمة	٢٤٩
نتائج	٢٥١
قائمة المراجع	٢٥٣